

سلسلة اعتدال التصوف ②

# الآيات المتشابهة

بين التأويل والتفويض والإثبات



محمد عز الدين العرياني

# مَقَلَمَةٌ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه،  
ومن وآله، واهتدى بهديه، واقتدى بتبعه إلى يوم الدين.

### وبعد

١. فإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يجتمعون على ثوابت في العقيدة  
لا يختلفون فيها، ومن هذه الثوابت:  
• الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة (والمؤمنون كل آمن  
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله)<sup>١</sup> وما آتاكم الرسول فخذوه  
وما نهاكم عنه فانتهوا (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)<sup>٢</sup>.
  - الإيمان في باب الصفات بكل صفة ثبت صراحة وصف الله بها في المصدرين  
السابقين.
- وعلى هذا المبدأ يتفق جميع المسلمين، واختلافهم حين يختلفون في بعض  
الصفات، إنما هو في ثبوت هذه الصفة المعينة وعدم ثبوتها، فمن ثبتت عنده  
أمن بها للقاعدة المتفق عليها كل ما وصف الله به نفسه يجب اعتقاده<sup>٣</sup> ومن لم

<sup>١</sup> البقرة: ٢٨٤

<sup>٢</sup> الحشر: ٧

<sup>٣</sup> النساء: ٥٨

تثبت عنده لم يبح وصف الله بها، ولم يجوز نسبتها إليه، استناداً إلى النص الديني «وذر الدين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»<sup>1</sup> وإن من أسباب هذا الاختلاف النص المتشابه الذي يحتمل أكثر من معنى، والذي قد يحمله فريق على معنى لما يبدو له من تضافر النصوص، أو دلالة اللغة والسياق عليه، ويحمله فريق آخر على معنى آخر يظهر له نفس العلل والأسباب والقواعد.

والمأمل في تحليلات العلماء للنصوص المتشابهة على اختلاف مشاربهم، يلاحظ أنهم متفقون في القواعد التي يستندون إليها في التحليل، واختلافهم إنما هو في جانب التطبيق الذي لا يمكن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعي فيه العصمة، أو يزعم فيه انفراده بالحق والصواب، أو يرمى الفريق الآخر بالبدعة والضلال. كما قال الإمام مالك "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه (إلا صاحب الخبر الشريف)".

2. وهذا الكتاب يبرز الجانب التطبيقي والتحليلي لعقائد أهل التصوف في الآيات المتشابهة، والتي وردت في كتبهم، ككتاب حزب التوحيد للإمام الجزولي من أئمة المالكية-، وكتاب عقيدة الأكابر للعارف بالله الشيخ عبدالقادر الجيلاني، والرسالة القشيرية للإمام القشيري، وكالجام العوام عن علم الكلام للإمام الحجة الغزالي، وعقيدة الشيخ العلامة الدردير -رضي الله عنهم-، وغيرها من الكتب التي صرحوا فيها بخلاصة دراساتهم لتلك الآيات، والتي قالوا فيها بنفي الحد عن الله والمكان والجهة والصوت والحروف، وأنه في شيء، أو على شيء، أو من شيء، وأنه<sup>2</sup> تحله الحوادث، أو يحمله على الفعل بأعش ودافع ...

3. ورغبة في بيان عمق دراساتهم، وسعة إطلاعهم، وتمكنهم من أدوات البحث ذكرت فيه عقائد المخالفين لهم في التحليل، وأدلتهم التي يستندون إليها.

<sup>1</sup> الأعراف 180

<sup>2</sup> هذه الجملة واقعة في نطاق النفي، أي نفى أن تحله الحوادث.

وتقويمها في جانب الرواية والدراية، واتفاقها واختلافها مع القواعد التي  
ينانون بوجود التمسك بها، حتى يخرج القارئ بقناعة بأن أولئك السادة  
العارفين ما أقاموا بنيانهم، وأسسوا مبادئهم إلا على كتاب الله وسنة رسوله  
صلى الله عليه وسلم - وأنهم كغيرهم من أئمة هذه الأمة لم يألوا جهداً في  
الدراسة والبحث والتنقيب ورصد الظواهر وتمحيص الأفكار والاتجاهات.

فإن وفقت فمن الله، وما توفيقى إلا به عليه توكلت وإليه أنيب.



<sup>1</sup> الإشارة لعلماء التصوف

## تهيد

انقسم العلماء في الآيات المتشابهة إلى ثلاثة مذاهب:

- مذهب يفوض المعنى إلى الله، ولا يتعرض للفظ المتشابهة لا بتأويل ولا بتفسير.

- ومذهب يؤول اللفظ المتشابه، أي يصرفه عن المعنى الظاهر المباشر إلى معان أخرى، ويستعين على هذا بالقرائن المتعددة، ويعرف الإستعمال والعادة؛ لأن التحويل في الحكم والاستنباط على قصد المتكلم ومراده.

ومراده يظهر أحيانا من اللفظ نفسه، وأحيانا من العلامات والقرائن المصاحبة، فمراد المتكلم من قوله: رأيت أسدا، غير مراده من قوله: رأيت أسدا يخطب على المنبر، ففي الأول يقصد الحيوان المفترس بدلالة لفظ الأسد، وفي الثاني يقصد الرجل الشجاع بدلالة القرينة "يخطب على المنبر".

ومن عرف مراد المتكلم بنليل من الأدلة وجب -عليه- اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة، أو كتابة، أو بإيماء، أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة مطردة<sup>1</sup>.

- ومذهب يفسر المتشابه بالظاهر الحرفي للفظ، مع الدعوة إلى عدم التمثيل والتشبيه.

فالقسم في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها نعيمه، فتقول قط قط وعزتك، ويذوى بعضها إلى بعض))<sup>2</sup> يؤمن بها المذهب الأول، لأنها واردة في السنة الصحيحة، من غير

<sup>1</sup> أعلام المومنين، 1، 218.

<sup>2</sup> اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه للشيخان - البخاري ومسلم - 1810.

أن يخوض فيها ببحث أو تفسير أو بيان، ويؤولها المذهب الثاني بما أولها به  
أئمة السلف الصالح:

- قال الحسن البصري: تقدم في الحديث هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه  
وأثبتهم لها.

- وقال البيهقي عن النضر بن شميل: تقدم هنا الكفار الذين سبق في علم الله أنهم  
من أهل النار.

- وقال الأزهرى: تقدم الذين تقدم القول بتخليدهم في النار.

- وقال ابن الأعرابي: تقدم المتقدم، وكل قائم عليها يسمى قدماً<sup>1</sup>.

واستعان في تحليله هذا بالقرينة الشرعية «لأملأن جهنم من الجنة والناس  
أجمعين»<sup>2</sup> التي تفيد صراحة بأن الامتلاء لجهنم سيكون بالمخلوقات لا بغيرها،  
ولهذا فيجب تأويل التقدم حتى لا تصطدم النصوص وتتعارض، قال ابن حزم:  
إن الاسم إذا تيقنا بدليل نص أو إجماع أو طبيعة، أنه منقول عن موضوعه في  
اللغة إلى معنى آخر، وجب الوقوف عنده<sup>3</sup>.

ويفسرها المذهب الثالث بأن الله قدما على ما يفيد ظاهر الحديث، لكنها ليست  
كأقدامنا للقرينة الشرعية «ليس كمثله شيء»<sup>4</sup>.

ويمتد المذهب الأول على حسب نقل كثير من العلماء غائب السلف الصالح  
من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن سار على نهجهم، قال حنبل: قيل لأبي  
عبدالله -يعنى الإمام أحمد-: ينزل الله إلى السماء الدنيا؟ قال: نعم. قلت: نزوله  
يعلمه أم ماذا؟ قال: استكت عن هذا، وغضب غضبا شديداً<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> دفع شبه من شبه وشرذ للإمام تقي الدين الحصنى 12

<sup>2</sup> المسجدة 13

<sup>3</sup> الأحكام في أصول الأحكام 531,4

<sup>4</sup> ثوري 9

<sup>5</sup> الصواعق الإلهية 478 و 482

وقال الإجماع فتشقى عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾<sup>1</sup>: إن هذه الآية من المشابهة التي يحار في الجواب عنها وعن أمثالها لمن يريد التبحر في العلم، أي يمر بها كما جاءت، ولا يبحث عنها، ولا يتكلم فيها لأنه لا يأمن الوقوع في الشبهة والورطة إذا لم يكن راسخا في العلم<sup>2</sup>.

ويمثل المذهب الثاني غالب علماء السنة من الأشعرية والماتريدية.

ويمثل للمذهب الثالث طائفة من العلماء على رأسهم ابن تيمية وابن القيم.

وكانت الشهرة لمذهب التأويل مذهب الأشاعرة والماتريدية، الذي دان به العلماء والصالحون والصوفية المتقون في مشارق الأرض ومغاربها، والذي اعتنقه الجامعات الإسلامية العريقة، كالأزهر الشريف والزيتونة، والقرويين، وفي بلاد العراق، وما وراء النهر.

وقد خاصم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مذهب التأويل، وأوليا هذه المخاصمة عناية فائقة، استغرقت شطرا من عمرهما، بذلا فيه أقصى طاقتهما الذهنية والفكرية، واستندا في هذه المخاصمة على:

- أن التأويل يخالف القرآن والسنة والإجماع ومذهب السلف.
- أن التأويل يؤدي إلى تعطيل، أي تعطيل الذات عن الصفات الموصوفة بها، وتعطيل حقائق الألفاظ حين تصرف عن ظواهرها، والتعطيل قاذح في عقيدة التوحيد، لأن فيه تحريفا للكلم عن مواضعه.
- أن التأويل يستند على المجاز، والمجاز لا يوجد في اللغة والشريعة، ولم يقل به أحد، لا من أهل الفقه والحديث والتفسير، ولا من أهل اللغة، لا أحمد، ولا مالك، ولا أبو حنيفة، ولا الشافعي، ولا خليل، ولا سيبويه، ولا عمرو بن العلاء، ولا غيرهم، وإنما هو اصطلاح حادث، جاء من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين<sup>3</sup>.
- أن التأويل يؤدي إلى القول بالمجاز، والمجاز كذب لصديق نفيه.

<sup>1</sup> طه 4

<sup>2</sup> الفقه الأكبر ص 17

<sup>3</sup> الإيمان 84

- أن التأويل يعتمد على القول بالوضع الأول، ولا يوجد ما يدل على أن في اللغة وضعاً أولاً استعملت فيه الكلمة، ثم نقلت منه إلى معنى آخر على سبيل المجاز، ومن ادعى ذلك فهو مبطل، فإن هذا لم ينقله أحد من الناس<sup>1</sup>.
- أن التأويل يعتمد على المجاز، والمجاز تقسم فيه الألفاظ إلى مستعمل فيما وضع له، وإلى مستعمل في غير ما وضع له، وهذا التقسيم فاسد، لأنه يتضمن إثبات الشيء ونفيه. إلى غير هذا من الاعتراضات التي أوردها ابن تيمية في كتبه، وابن القيم في كتابه "الصواعق المرسلة"، والتي ناقشها العلماء قديماً وحديثاً، والتي سيأتي الجواب عن أهمها إجمالاً وتفصيلاً.



<sup>1</sup> انظر مجموع الفتاوى 7، 90-91



## التقويم الإجمالي

1. الصرف عن الظاهر حين توجد القرينة أمر نهبت عليه الشريعة، كما جاء في حديث حاتم رضي الله عنه - الذي قال: ((أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فعلمني الإسلام، ونعت لي الصلوات، كيف أصلي كل صلاة لوقتها، ثم قال - أي الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ((إذا جاء رمضان فكل واشرب، حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتم الصيام إلى الليل. ولم أدر ما هو، فقلت خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما عند الفجر، فرأيتهما سواء. فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، كل شيء أوصيتني به قد حفظت غير الخيط الأبيض والأسود. قال: ((وما منعك يا بن حاتم))، وتبسم، كأنه قد علم ما فعلت. فقلت: خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما، فوجدتهما سواء. فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى روي نواجذه، ثم قال: ((ألم أقل لك "من الفجر" إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل))<sup>1</sup>.

فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - استخدم<sup>2</sup> الخيط الأبيض والأسود في النهار والليل، أي في غير معناهما الحقيقي، وأقام قرينة على استخدامه، وهو قوله ((من الفجر)) واستخدامه هذا يسمى تأويلاً ومجازاً، قال اللقاضي الباقلاني: هو لفظة معقولة المعنى، لها حقيقة ومجاز، فإن أجريت على حقيقتها كانت ظاهراً، وإذا عدلت إلى جهة المجاز كانت تأويلاً<sup>3</sup>.

وفي أثر عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم - الأثرين تنبيه على الاستخدام المجازي، وعلى النقل من المعنى الأصلي للكلمة.

<sup>1</sup> جامع البيان 100، 2

<sup>2</sup> ومن قبله القرآن

<sup>3</sup> البرهان 416، 1-417

جاء في شفاء العليل لابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>1</sup>: الحرج هو الشدّيد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم. يقال رجل حرج وحرج أي ضيق الصدر .. قال عبيد بن عمير: قرأ ابن عباس هذه الآية، فقال: هل هذا أحد من بني بكر؟ قال رجل: نعم. قال: ما الحرجة فيكم؟ -أي في ماذا تستعملونها وعلى ماذا تطلقونها- قال: السوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه. قال ابن عباس: كذلك قلب الكافر. وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال: ايتوني رجلاً من بني كنانة، واجعلوه راعياً -أي اختاروا من اشتغل بالرعي-، فلقوه به، فقال عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال: الشجرة تحديق بها الأشجار الكثيرة، فلا تصل إليها راعية ولا وحشية. فقال عمر: كذلك قلب الكافر. لا يصل إليه شيء من الخير<sup>2</sup>. فنبه هذا الأثر على:

- النقل من الوضع والاستعمال الأول -الوادي لو الشجرة- إلى الاستعمال الثاني وهو قلب الكافر.

- على نوع العلاقة بين الاستعمالين وهي المشابهة

- أهمية رصد معاني الكلمات والبحث عنها في تفهم نصوص الشريعة. وهذا عين ما قام به علماء اللغة والمعاجم.

- أن قول من قال إن المجاز لم يقل به المصنف، إن أراد عملية وتطبيق المجاز نفسه، فهذا قول مدفوع، وإن أراد مجرد التسمية فمجرد التسمية لا يفيد نفيه في إبطال المجاز نفسه، باعتباره فناً من فنون القول، وأداة من أدوات التعبير.

2. أن ابن تيمية في تحليله لظواهر المتشابهات قد وقع في التأويل الذي ينكره؛ فالقدم في الحديث الشريف السابق ((... حتى يضع رب العزة فيها قدمه)) في أصل اللغة، تطلق على القدم المعروفة والجارحة المعلومة، وتفسره لها بأنها قدم ليست كأقدامنا تأويل؛ لأنه خرج به عن الصورة المعلومة للقدم إلى صورة أخرى غير معروفة، لم يوضع لها لفظ القدم في اللغة، واستعان في تحليله

<sup>1</sup> الأنعام 126

<sup>2</sup> شفاء العليل 203 و 227

بقريئة حتى يصل إلى مراده، وهو قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو كان استخدام القدم حقيقة فيما ذهب إليه لاستغنى عن استخدام القريئة، وهذا ظاهر (لأن الألفاظ إذا لم تكن مشتركة فلا تستعمل في حقائقها مرتين، وإنما تقع حقيقة في موضع استعمالها الأول، فإذا أخرجت عنه كانت مجازاً)<sup>1</sup>.

ولفظ القدم لم يكن مشتركاً، لأنه حين يقرأ لو يسمع يسبق إلى الفهم صورة القدم المعروفة دون غيرها من الصور المجهولة، والألفاظ المشتركة عند أهلها لا يسبق فيها إلى الفهم بعض دون بعض.

3. إن التأويل لا يؤدي إلى التعطيل، فالقدم في الحديث الشريف حين تؤول على غير حقيقتها لوجود القريئة الشرعية، لا يؤدي هذا التأويل إلى التعطيل لا للذات ولا للألفاظ؛ لأنه ليست هناك صفة أصلاً تسمى القدم لعدم ما يدل عليها - كما سبق بيانه - فلا يكون تأويلنا للقدم نفياً لها، ولم تكن القدم في الحديث تدل على القدم حقيقة، حتى يصح أن نقول إن تأويلنا فيه تعطيل لحقائق الألفاظ.

4. أن السلف الصالح الذي يستند إليه ويحتج به ابن تيمية في التأويل والتفسير، هو الذي نبه على التوضع الأول وأصل الكلمة:

- قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿أو تحريراً رغبة مؤمنة﴾: يعني - تعالى ذكره - بذلك لو فك عبد من أسر العبودية ونلها، وأصل التحرير الفك من الأسر، ومنه قول الفرزدق:

أبى عدانة إني حررتكم فوهبتكم لمطية بن جمال

يعنى بقوله "حررتكم" فككت رقابكم من ذل الهجاء ولزومه<sup>2</sup>.

- وقال في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾<sup>3</sup>. اجتمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج

<sup>1</sup> المجاز في اللغة والقرآن الكريم 693، 2

<sup>2</sup> جامع البيان 18، 7

<sup>3</sup> الفاتحة 5

فيه، وذلك في لغة جميع العرب ... ثم تفسير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل بوصف باستقامة واعوجاج<sup>1</sup>.

فابن جرير هنا ((قد حكى إجماع الأمة من أهل التأويل على أن المراد بالصراط وضعا هو الطريق المستقيم الذي لا أعوجاج فيه، فيكون استعماله في غيره - مثلما في الآية الحكيمة - خروجاً به إلى غير معناه هو المجاز))<sup>2</sup>

- وقال في قوله تعالى: «في قلوبهم مرض»<sup>3</sup>: وأصل المرض السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان<sup>4</sup>. والمراد من الأصل هو أصل الوضع.

وابن تيمية يقول عن تفسير ابن جرير: التفسير التي في أيدي الناس أصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين<sup>5</sup>.

وهذه التزكية تفيد صحة قول ابن جرير بأصل الوضع اللغوي، وصحة قوله بالإجماع عليه. وقول ابن تيمية السابق يفيد أن من يقول بالوضع الأول يعتبر من المبطلين<sup>6</sup>، فأَي وصفين سنصف بهما الإمام ابن جرير، هل هو يرى من البدع والضلال كما هو ظاهر النص الأول، أو هو في قائمة المبطلين كما حكم به النص الثاني؟

- قال أبو عبيدة (توفي سنة 209) في قول جرير:

لا قوم أكرم من تميم إذ غدت عوذ النساء يستن كالآجال

قال: قوله (عوذ النساء) من اللاتي معهن أولادهن، وَأَوَّصِل عوذ الأبل التي معها أولادها، فَنَقِلْهُ العرب إلى النساء، وهذا من المستعار، وقد نفعل ذلك العرب كثيراً<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق 57.1-58

<sup>2</sup> المجاز 456.1

<sup>3</sup> البقرة 9

<sup>4</sup> جامع البيان 94.1

<sup>5</sup> مجموع الفتاوى 192.2

<sup>6</sup> المرجع السابق 90.7-91

<sup>7</sup> النقص 121.1 نقلاً عن كتاب المجاز للمطعمي

- قال أبو عمرو بن العلاء في قول ذي الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال:

ألا ترى كيف صير له - أي للفجر - ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار له هذه اللفظة<sup>1</sup>.

- قال ابن قتيبة [213-276]: العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها.. فيقولون للنبات نوء، لأنه يكون من النوء عندهم. قال رؤبة بن العجاج:

وجف أنواء السماء المرتزق

أي جف البقل، ويقولون للمطر سماء، لأنه من السماء ينزل<sup>2</sup>.

- قال الخطابي في شرحه الحديث: ((فإذا سكب المؤذن بالأولى من صلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين)) قال: قال سويد: سكب يريد أن، السكب الصب والدق، وأصله في الماء يصب، وقد يستعار، فيستعمل في القول والكلام، كقول القائل: أفرع من أذننى كلام لم اسمع مثله<sup>3</sup>.

وهذا يدل على أن اللفظ المتحدث عنه له دالتان، أحدهما أصلية، وهي دلالة الوضع الأول، والثانية فرع وهي دلالة المجاز.

- قال المبرد [توفي سنة 285] في تحليل قول ميادة:

أموتك يا رياح بأمر حزم فقلت هشيمة من أهل نجد

قال: تأويله ضعفه، وأصل الهشيم للثبت إذا جف وتكسر، فذرت الرياح يمينها وشمالا<sup>4</sup>.

- قال الإمام أبو حنيفة: إن المجاز خلف الحقيقة في التكلم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المسند لابن رشيقي 269.1

<sup>2</sup> تأويل المشكل 135

<sup>3</sup> معاني القرآن 363.2

<sup>4</sup> الكامل 45.1

<sup>5</sup> كشف الأسرار عن أصول فخر الامام لليزدوى 77.2 80

- قال الشافعي: فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها<sup>1</sup>، وإن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما يراد به العام الظاهر.. وعاما يراد به العام ويدخله الخاص، و**ظاهرا** يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره<sup>2</sup>.
- والجملة الأخيرة من قول الإمام الشافعي تعتبر قاعدة كلية للمجاز، ومعناها أنه يدرك من خلال السياق القرينة الصارفة عن إرادة المعنى اللغوي الأصلي.
- قال الشافعي: إن الطلاق يقع بلفظ التحرير مجازا، والعناق يقع بلفظ الطلاق مجازا.
- قال فخر الاسلام البزدوي: لم يمنع أحد من أئمة السلف من استعمال المجاز<sup>3</sup>.
- قال ابن عطية -توفي سنة 310 هـ- في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصراط في اللغة الطريق الواحد...
- واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير -أي نقل إليه- الصراط في هذا الموضع وما المراد منه-<sup>4</sup>.
- فهؤلاء أئمة السلف يقولون بخلاف ما يقوله ابن تيمية؛ فهم يقولون بالوضع الأول، وينقل منه على سبيل الاستعارة والمجاز، وهو يقول إن هذا لم ينقله أحد، ومن يقول هذا مبطل، وعلى قوله فالسلف من المبطلين.
5. المجاز ليس كذبا لـ:
- أن المتجاوز ينصب بين يدي القارئ قرينة تصرف عن إرادة المعنى الوضعي، أما الكذب فإن الكاذب يحرص على إخفاء حاله وترويح كذبه.

<sup>1</sup> التوسع من باب المجاز قال ابن الأثير: المجاز لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة إما توسع أو تشبيه أو استعارة المثل المسافر 82،2-83 وقال ابن جني: لا يحل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لثلاث وهي

الاتساع والشبه والتوكيد المرجع السابق 84،85

<sup>2</sup> الرسالة 53

<sup>3</sup> كشف الأسرار 77،2-80

<sup>4</sup> المحرر فوجيز 122،1

- أنه إنما يكون كذباً لو أثبت فيه المعنى على التحقيق لا على المجاز، فيكون إطلاق الأمد على الرجل للشجاع كذباً لو ادعى أنه حيوان مفترس، وليس هذا المقصود من الإطلاق، وإنما القصد تشبيهه به في الشجاعة والجرأة.

### اعتراضات ابن القيم

اعترض ابن القيم في كتابه "الصواعق المرسلة" على استخدام المجاز بأكثر من خمسين اعتراضاً، وقد تعرض العلماء قديماً وحديثاً لمناقشة هذه الاعتراضات ونقدها، ومن أشهر هؤلاء العلماء العلامة الدكتور عبدالمعظم المطعنى في كتابه القيم "المجاز في اللغة والقرآن الكريم" الذي بلغ أكثر من ألف ومائة صفحة في جزئين كبيرين، أثبت فيه استخدام السلف للمجاز وتأويلهم للنصوص. وناقش فيه ابن تيمية وابن القيم بإسهاب كبير، أبطل فيه كل الحجج الواردة في كتبهما، والرجل ليس من أعداء ابن تيمية وابن القيم حتى يستهم بالتعصب، وإنما هو من المعجبين بهما، اللاهجين بالثناء عليهما.

وينبغي لكل من يقرأ لابن تيمية وابن القيم الاطلاع على هذا الكتاب، حتى يكون على بصورة وبيّنة من أمره ((انظروا عن تأخذون دينكم))

والمسألة جلية، فالأخذ بالظاهر غير الأخذ بالتأويل في النتائج والآثار، فالأخذ بالظاهر يترتب عليه القول بقدوم العالم، وفناء النار يوم القيامة، وتلبس الأنبياء -عليهم السلام- بالمعاصي والآثام، وتحيز الله في المكان والجهة، والقول بالأجزاء له والأيماض من اليد والقدم والوجه، والقول بضلالة الأمة المؤولة... إلى غير هذا من العقائد التي القزم بها ابن تيمية واعتقها، ودعا أتباعه إلى الإيمان بها.

- وسأورد هنا عشرة اعتراضات لابن القيم على المجاز، وسأنتقل إجابة العلامة المحقق المطعنى عليها بما يخدم موضوع هذا الكتاب.

قال ابن القيم ما يرفع المجاز بالكلية أنهم قالوا: إن من علامة الحقيقة المسبق إلى الفهم، وشرطوا في كونها حقيقة الاستعمال. وعند الاستعمال لا يسبق إلى الفهم غير المعنى الذي استعمل للفظ فيه، فيجب أن يكون حقيقة، فلا يسبق إلى فهم أحد من قول النبي صلى الله عليه وسلم - في الفرس الذي ركبه: ((إنما وجدناه بحرا)) الماء الكثير المستبحر، فإن في ((وجدناه)) ضميرا يعود على الفرس، يمنع أن يراد به الماء الكثير، ولا يسبق إلى فهم أحد من قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن خالدا سيف سله الله على المشركين)) أن خالدا حديدة طويلة لها شفرتان، بل السابق إلى الأفهام من هذا التركيب نظير السابق من قولهم: يا رسول الله، إننا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء<sup>1</sup>...

### جواب المظني

العلامة قد جاتبه الصواب هنا بشكل واضح، فيما أن يكون قد فهم كلام المجازيين وتجاهله، أو لم يفهمه، فمراد المجازيين من ((التبانر)) إنما هو عند خلو الكلام من قرينة التجوز، أما عند وجود القرينة فالمتبادر هو المعنى المجازي وليس الحقيقي، والعلامة لم يلحظ هذا كما هو مقتضى كلامه. ومن الأخطاء التي وقع فيها هذه الحديثين المذكورين من باب المجاز، ولا مجاز فيهما، فحديث الفرس تشبيه، والتشبيه حقيقة، وحديث خالد تشبيه كذلك، لأنهما لو كانا استعارتين، والاستعارة - على الصحيح - لا يجمع فيها بين المشبه والمثبه به، وهما هنا الفرس والبحر، وخالد والسيف، وبهذا ينهار من الأساس ما توهم في عد هذا مجازا، وليس هو بمجاز. وقد ناقشنا مع ابن جني من قبل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الصواعق 321

<sup>2</sup> المجاز 945.2



## الاعتراض الثاني

يتمتع دخول المجاز في كلام الله، لأن الله لم يضع ألفاظ كلامه لمعان، ثم نقلها إلى غيرها، ولا كان كلامه تابعا لأوضاع المخلوقين<sup>1</sup>.

### جواب المظني

هاتان مغالطتان مفضوحتان كان حريا بالعلامة ابن القيم، وهو العالم الفد، والفقير الجهد، والمجادل الذكي أن يقع فيهما، فمن ذا الذي يقول إن كلام الله في التوراة والإنجيل والقرآن وضعه الله ألفاظه؟!<sup>2</sup> والله يقرر في كتابه الحكيم الذي كان يحفظه العلامة ويفسره قانونا مطردا، لم يتخلف في إرسال الرسل

وإنزال كلامه عليهم «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم»

هذه الآية الحكيمة تبطل دعوى العلامة بشقيها:

- كون الله سبحانه -وضع ألفاظ كلامه وضعا خاصا.

- نفي أن يكون كلام الله تابعا لأوضاع المخلوقين.

لأن كلام الله الموحى إلى كل أمة نزل بألفاظها تابعا لأوضاعها؛ لأن المقصود من الرسالة البيان، ولو بعث رسول في أمة بوحى مخالف للغة الأمة وأوضاعها لما كان بيانا وهدى<sup>3</sup>.

## الاعتراض الثالث

إن اللفظ عند تجرده عن جميع القرائن يصبح مجرد صوت غير مفيد، مثل: طق، وغاق. فكيف يترتب على التجرد مجاز؟ فإن ادعى مجوزوا المجاز أنه ما احتاج إلى قرينة في المفرد لإفادة المعنى كانت اللغات كلها مجازا!! وإن

<sup>1</sup> الصواعق 316

<sup>2</sup> يقصد من الذي يقول أن الله قد اخترع الألفاظ التي صيغ بها القرآن وغيره

<sup>3</sup> المجاز 937

فرقوا بين قرينة وقرينة كان ذلك تحكما محضاً. كان يفرقوا بين القرائن اللفظية والقرائن المعنوية<sup>1</sup>.

### جواب المطعنى

أطال<sup>2</sup> المؤلف فى هذا فوجه، وسواء علينا أطلال أم أوجز، لأن صواب هذه المسألة قائم على اصطلاح خالص، فليس المراد عند مجوزى المجاز من التجرد والاطلاق التجرد العام من كل القرائن، بل المراد خلو الكلام من القرائن المنصوبة لتحقيق المجاز، فقولنا "رأيت أسدا يخطب فى الجند" صار مقيدا بقرينة تصرف عن معنى "الأسدية الحيوانية" إلى معنى الشجاعة والإقدام. وسواء عند مجوزى المجاز أن تكون القرينة المحققة للمجاز عقلية أو لفظية، ولكن ليس كل قرينة لفظية كانت أو عقلية محققة للمجاز، فالمفعول فى "أكلت دماً" قرينة لفظية محققة للمجاز، لأن الدم لا يؤكل، وبخاصة دم الأدمى المقصود هنا، والمفعول فى قولنا "قرأت كتاباً" قرينة لفظية، ولكنها لا تحقق المجاز، والاضافة فى "مكر الليل" قرينة لفظية محققة للمجاز<sup>3</sup>، أما الإضافة فى قولنا "مكر الإنسان" فقرينة لفظية، ولكنها لا يترتب عليها مجاز. والعقلية مثل اللفظية تحقق المجاز حيناً، ولا تحققه حيناً آخر، فقول الشاعر:

وما الدهر إلا من رواة قصاندى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فيه قرائن عقلية محققة للمجاز؛ لأن الدهر - وهو الزمن - لا يروى ولا ينشد، وإنما يروى وينشد أهله.

ومثله عبارة سيبويه المذكورة فى أول الكتاب "حملت الجبل" و"شربت ماء البحر" فالعقل يمنع أن يحمل إنسان جبلاً، وأن يشرب ماء بحر فلا يضر منه شيئاً، وإذا قال إنسان: فولد لكبر من أبيه سناً، حكم العقل بفساد هذا الكلام، ولا يترتب على القرينة العقلية هذا مجاز.

<sup>1</sup> انظر الصواعق 299

<sup>2</sup> هذا النص ملخص لكلام ابن القيم

<sup>3</sup> لأن الليل لا يسكر

وإنما جانب المؤلف الصواب -هنا- لأنه أراد أن يحاكم مجوزي المجاز على أساس قوانين كلية، لا على أساس مصطلحات العلوم والفنون الخاصة بكل علم وفن.

#### الاعتراض الرابع

تقسيم الألفاظ إلى مستعمل فيما وضع له، وإلى مستعمل في غير ما وضع له تقسيم فاسد، لأنه يتضمن إثبات الشيء ونفيه<sup>1</sup>.

#### جواب المظني

يريد المؤلف أن يقول: إن استعمال اللفظ في غير ما وضع له معناه نفى الوضع، وإن استعماله في المجاز معناه إثبات الوضع. وهذا -عنده- جمع بين النقيض؟! وهذه مغالطة كبرى من المؤلف، فاستعمال اللفظ في المجاز لا ينفي الوضع الأول، لأن المجاز إجماعاً ملاحظ فيه المعنى الوضعي، فالقرآن الحكيم حين أطلق على الجاهل لفظ الموت لم يبلغ الدلالة الحقيقية لكلمة الموت، بل استثمرها في المعنى المجازي.

فسمى الجاهل "ميتاً" لأن الميت عديم النفع، وكذلك الجاهل، والعلامة نفسه حين سمى كتابه "الصواعق" لم يبلغ المعنى الحقيقي لهذه الكلمة الذي هو الاحتراق والإهلاك، بل شبه كتابه في القضاء على خصومه بالصواعق في قوة التأثير، وهكذا كل مجاز، فلن إلغاء الوضع يا ترى؟<sup>2</sup>

#### الاعتراض الخامس

التسليم بصحة المعنى المجازي لا يصح إلا بعد تمييز المعنى الحقيقي بمميز منفصل، لأن صحة التمييز بين الألفاظ تابع لصحة التمييز بين المعاني، فإذا لم يصح التمييز كان التقسيم تحكماً محضاً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الصواعق 291

<sup>2</sup> المجاز 218,2

<sup>3</sup> الصواعق 292

هذه القاعدة التي ذكرها المؤلف صحيحة، ولكن لا أثر لها فيما نحن بصددده؛ لأن التمييز بين المعنى الحقيقي حاصل حصولاً بيناً، ولناخذ بعض الأمثلة التي تقدمت، فقد قلنا أننا إن القرآن الكريم أطلق لفظ الميت على الجاهل مجازاً، والمعنى الحقيقي متميز كل التمييز عن هذا المعنى المجازي، فالميت الذي فارقت روحه بدنه إن كان مسلماً غسل وكفن، وصلى عليه، ثم دفن، ويورث إن كان له مال ووراث، وتحل كل ديونه بقلوم، وتسقط عنه التكاليف. أما الميت الجاهل فلا تجرى عليه تلك الأحكام التي تقدمت، فهل يعد التمييز من تمييز<sup>1</sup>؟

### الاعتراض السادس

هل المجاز مخصوص عندكم بلغة العرب أم عام في كل اللغات؛ ويرتب على هذا محضورين، فإن قال مجوزوا المجاز إنه خاص بلغة العرب، قال لهم هذا تحكم فاسد، وإن قالوا عام في كل اللغات قال لهم: هذا أمر ينكره أهل كل لغة، بل يجزمون بأن لغتهم باقية على موضوعاتها لم تخرج عنها<sup>2</sup>.

### جواب المطفي

هذا إقلاص في محاورة الخصوم، وخروج بموضوع النزاع إلى غير حاجته، لأن مفكري كل أمة يولون غلبتهم بلغة أمتهم، وهل سأل هو كل الأمم عن المجاز والنقل فأجابوه بما ادعاه؛ وهل كان يعرف أن هذه الدعوى باطلة، وإن المجاز موجود في كل اللغات، وأن أرسطو قبل الميلاد بأكثر من أربعة قرون كان قد تكلم على المجاز والنقل والاستعارة والتشبيه والفرق بين الاستعارة والتشبيه<sup>3</sup>، وأوروبا في نهضتها الأدبية واللغوية الحديثة اعتمدت على أدب

<sup>1</sup> المجاز 20، 2

<sup>2</sup> الصواعق 315

<sup>3</sup> نظير أرسطو في الشعر 457

اليونان القدماء، وحتت حنوهم ردها من الزمن، وآداب الأمم حافلة بصور رائعة من المجاز لا ينكرها إلا معاند: هنودا وفرسا ورومانا وغيرهم وغيرهم ...  
أجل: إن المجاز عام في كل لغة، وإن اختلفت العربية بكثرة البحث فيه حتى اشتهر فيها وذاع أثره<sup>1 2</sup>

### الاعتراض السامع

يعجز البيانيون عن توضيح الفرق بين قرائن المجاز وقرائن غير المجاز<sup>3</sup>.

### جواب المظني

من أيسر الميسور عند المجازيين التفرقة بين القرائن التي يكون معها الكلام مجازاً، وبين القرائن التي يكون معها الكلام حقيقة، لفظيات كانت أو معنويات، وسقنا على ذلك عدة أمثلة فيما تقدم<sup>4</sup>، ونضيف هنا: لو كان سائل قد سأل العلامة وهو في مجلس فقه فقال: ما حكم رجل خرق بطن حامل<sup>5</sup>، فماتت، ومات ما في بطنها؟ فإن جوابه، وهو للفقيه العلم، لا بد أن يكون: يقتل الرجل قصاصاً إن كان متعمداً، وعليه دية الأم وجنينها إن كان مخطئاً. وإن سألته آخر فقال: ما حكم رجل خرق بطن الوادي<sup>6</sup>، وسار فيه بفرس رائحاً جانيها؟ أكون جوابه مثل الأول فيرى في هذا جريمة كما رأى في الأول؛ أم أن هذا عمل مباح وإن كان فيه خرق بطن<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أنظر اللغة للشاعرة لأستاذة بغداد 35

<sup>2</sup> المجاز 2، 936

<sup>3</sup> الصواعق 328

<sup>4</sup> أنظر جواب الاعتراض الثالث

<sup>5</sup> الإضافة هنا حقيقة

<sup>6</sup> الإضافة هنا غير حقيقة بل مجازية

<sup>7</sup> المجاز 2، 941

يعني أن اختلاف جوابه يعني إدراكه للفرق بين القرأتين التي يكون معها الكلام مجازاً، والقرأتين التي يكون معها الكلام حقيقة [

### الاعتراض الثامن

ينازع ابن القيم في أمارة المجاز المعبر عنها بأن اللفظ عند الإطلاق يكون المعنى المتبادر منه إلى الفهم هو الحقيقة، وما عداه - عند التقييد - هو المجاز، وأن القائلين بالمجاز ليسوا ممن يحتج بعريبتهم<sup>1</sup>؛

### جواب المطعني

دعوى أن أكثر القائلين بالمجاز ليسوا عرباً، ولا يحتج بعريبتهم دعوى باطلة بشقيها، فسيبويه وإن لم يكن من أصل عربي هو إمام النحاة واللغويين بلا نزاع، وقد أدرك الاستعمال المجازي من وقت مبكر، وسماه الاتساع في الكلام، وحذا حذوه القراء وأبو عبيدة وابن قتيبة، وأبو عمرو بن العلاء، وابن الأعرابي، ومؤرج السدوسي الذي كان يحفظ كما قيل ثلث اللغة، ثم حذا الجاحظ حذوهم وأضاف، وكذلك المبرد وغيرهما كثير، بل إن التصريح بالمجاز بلفظه ومعناه معزو إلى الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة وصاحبيه، وتقدم هذا في حديثنا مع ابن تيمية مع توثيق النقل عنهم، فليراجعه من يريد .  
أما تبادر المعنى الحقيقي فيكفي فيه قصة القوم الذين فهموا من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، أن المراد من الخيطين هنا الحبلان الأبيض والأسود، إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ الْفَجْرَةَ﴾، فكانت نصاً في فهم المراد .

وهذه المبادرة مطردة، لذلك احتج في المجاز إلى القرأتين المصارفه عن المعنى الحقيقي المتبادر، وهذا هو الحق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نفس المسند في الوجه الثاني والأربعون

<sup>2</sup> لمجاز 993,2

لو صح تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز لكان ذلك إما باعتبار لفظه فقط، أو باعتبار معناه فقط، أو باعتبارهما معاً... والكل باطل فالتقسيم باطل<sup>1</sup>.

### جواب المطعني

التلازم بين الألفاظ والمعاني كالتلازم بين الروح والحياة، واللفظ حين ينظر إليه بمنأى عن وجوده في جملة ذات معنى تام لا يفيد إلا التصور، وتعمل المعنى بلا واسطة لفظ يدل عليه يكاد يكون مستحيلاً، فالألفاظ أوعية المعاني كما قالوا، وعلى هذا فإن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز منظور فيه إلى الألفاظ والمعاني معاً، فمثلاً قوله - صلى الله عليه وسلم - في النساء: ((رفقنا بالقوارير)) فإن لفظ القوارير هنا بحسب معناه مجازي، والمعنى بحسب دلالة اللفظ عليه في هذا الموطن مجازي أيضاً، فتقسيم الكلام إلى حقائق ومجازات مراعى فيه الألفاظ ومعانيها، وهذا لا ينكره منصف، ويزداد الأمر وضوحاً حين تقارن بين قوله تعالى: «ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب كانت قوارير قواريراً من فضة قدروها تقديرًا»<sup>2</sup>

إن دلالة (القوارير) في الآيتين تختلف اختلافاً بيناً عن دلالة القوارير في الحديث، فالمدال والمنلول في الحديث مجازي باعتبار، والمدال والمنلول في الآيتين حقيقة باعتبار، فأية غرابة في صحة هذا التقسيم إلا الغرابة التي تنشأ عن التعصب وحده، إن التعصب كثير ما يلبس الأشياء غير أنوابها<sup>3</sup>.

### الاعتراض العاشر

يأخذ على المجازيين مأخذين كلاهما لا حجة له فيه، لأنهم رأهم يمارسون المجاز على أصلين كما يقول: ثرة بالحمل والأخبار، فيقولون أراد المتكلم من

<sup>1</sup> انظر الصواعق 335

<sup>2</sup> الإنسان 15-16

<sup>3</sup> المجاز 2، 948

كلامه هذا التجوز بكذا عن كذا، وتارة يستعملون هم المجاز في خطبهم وكلامهم، ويقولون استعزنا كذا لكذا، ويرد عليهم أصلهم الأول، فيقول: من أين لكم إن المتكلم لم يرد بكلامه معناه المفهوم منه عند الخطاب، يعني الحقيقي<sup>1</sup>

### جواب المطعني

من المعلوم أن المتكلم بالمجاز ينصب قرينة تدل على مراده منه، وأحياناً تكون القرينة مقررة بطبيعتها، مثل قول ابن الرومي في وصف الطبيعة في الربيع:

تبرجت بعد حياء وخفر      تبرج الأنثى تصدت للذكر

فوصف الطبيعة بالتبرج مجاز، والقرينة هو الحديث عما لا يعقل، وأراد التبرج إنما هو فعل العقلاء. فإذا قال ناقد إن هذه صورة مجازية وردت في شعر ابن الرومي لم يكن منقولاً عليه، لأن من المحال أن يكون الشاعر قد أراد من التبرج هنا نفس المعنى المنهي عنه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾<sup>2</sup>

وكذلك محال أن يكون مراد النبي -صلى الله عليه وسلم- من (القوارير) في الحديث المتقدم<sup>3</sup> معنى القوارير في الآية (كانت قواريرا) وإذا كان من حق الناقد أو الشارح أن يفسر كلام غيره على هذا المنهج، فهو بتفسير كلام نفسه أحق<sup>4</sup>.

### ملاحظة

مع شدة معارضة ابن القيم للمجاز والتأويل في كتابه "المواعق" و "الفونية" فهو متوسع فيهما في كتب أخرى متعددة كشفاء العليل، وبذائع الفوائد، والبيان ... ودلالات هذا التعارض والتناقض سيأتي التعرض لها في التقويم التفصيلي عند مبحث الصوت.

<sup>1</sup> المواضع 338

<sup>2</sup> الأحزاب 33

<sup>3</sup> رقا بالقوارير

<sup>4</sup> للمجاز



# التَّقْوِيمُ التَّفْصِيلِيُّ

## مبحث الصوت

### عقيدة ابن تيمية

يعتقد ابن تيمية أن الله حين يتكلم يتكلم بصوت وحرف. يقول في كتابه مجموعة الرسائل: الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه... كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف<sup>1</sup>.

وما تكلم الله به فهو قائم به<sup>2</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾<sup>3</sup> فهذه الآية تدل على أنه يتكلم بحرف والفاظ وصوت؛ لأنه لا يصح في العقل نداء ليس مسموعا لفاء ولا يسمع إلا الصوت<sup>4</sup>. يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يقول الله: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))<sup>5</sup>.

وعن جابر بن عبد الله بن أنس قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت، يسمعه من بعده، كما يسمعه من قسرب: أنا الملك، أنا النيان))<sup>6</sup>.

ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء كجر السنينة عنى الصفا))<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> 153,3

<sup>2</sup> مجموعة الرسائل 45,3

<sup>3</sup> مريم 51

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 531,6-532

<sup>5</sup> البخارى -السنن- 180,4 فى باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتْلَعْ الشَّعَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

<sup>6</sup> البخارى -الفتح- 234,17

<sup>7</sup> مجموع الفتاوى 234,6

وحيث يتكلم الله يتكلم بصوت يشبه صوت الصواعق، لما جاء في الحديث: ((لما رجع موسى إلى قومه، قالوا له: صف لنا كلام ربك، فقال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فضبيه.

قال: سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكانه منته))<sup>1</sup>.

وأن كلامه حادث فردا قديم نوعا، يقول في كتابه رسالة في صفة الكلام ص 51: إنه ينادى ويتكلم بصوت، ولا يلزم من ذلك قدم صوت معين، وإذا كان قد تكلم بالثورة والقرآن والإنجيل بمشيئته وقدرته، لم يمنع أن يتكلم بالباء قبل السين، وإن كان نوع الباء والسين قديما، لم يستلزم أن تكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة، لما علم من الفرق بين النوع والعين.

يعنى أن اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثا، لأن لكل حرف بدءا ونهاية، وأولاً وآخر، وكل حرف مسبوق بما قبله، والمسبوق بغيره حادث؛ لأنه لم يكن موجودا قبل التلفظ به.

لكن ما من لفظ إلا وقبلة لفظ صدر منه، وما من حرف إلا وحرف سابق عليه إلى ما لا أول له، فيكون حادثا بالفرد، قديما بالنوع. قال الإمام أحمد بن حنبل: "لم يزل الله متكلماً"

وهذا يدل - عند ابن تيمية - على قيام الحوادث بأشده، لأن الله حين يقول للشيء المعنوم ((كن)) يتكلم بحرف ونون بعد أن كان صامتا، وحين ينادى عباده بالتلفظ بـ ((ماذا أجبت المرسلين))<sup>2</sup>

وحيث أوحى بكتابه لجبريل - عليه السلام - سمعه جبريل يتلفظ بكلماته مرتبة الواحدة بعد الأخرى، وترتيبها لا يدل على حدوثها؛ لأن كلام الله قديم، يتكلم به في وقت معين بعد أن لم يكن متكلماً.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 154,6

<sup>2</sup> انظر شرح المعجزة الأسطورية لابن تيمية 69-70، مجموع الفتاوى 224,6

يقول ابن تيمية:

فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل<sup>1</sup>، وأمن به السلف وأئمة الحديث<sup>2</sup>، لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشينة أكمل ممن لا يتكلم بمشينة، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق<sup>3</sup>.

## التقويم

سندرس هذه الفتاوى والأحكام من ناحيتين:

1. من حيث التحليل.
2. من حيث النص.

## من حيث التحليل

1. يعتبر تحليله غير مسلم، لأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفراد، فإذا كانت الأفراد حادثة كان النوع حادثاً؛ لأنه حين يكون كل فرد مسبوقاً بالعدم يكون الكل كذلك، فلا وجود للكلي إلا في ضمن جزئياته. والجملة ليست شيئاً أكثر من الأفراد مجتمعة، فإذا كان كل فرد حادثاً لزم من ذلك حدوث الجملة قطعاً، فكل ما يعتبر وصفاً للأفراد جميعاً يعتبر وصفاً للكلي، فإذا كان كل زنجي أسود كان الكل أسود ضرورة، وإذا كان كل طالب ناجحاً، كان الجميع ناجحين بلا ريب، كذلك الأمر في الحروف والألفاظ، فإذا كان كل حرف

<sup>1</sup> منهاج السنة 224، 1

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 324، 6

<sup>3</sup> المرجع السابق، الجزء 44، 3 و الصفحة مبيعة فرستل 44، 3

ولفظ صادر من الله حادثاً، كان كلامه كله حادثاً فرداً و نوعاً، مما يدل على أن هذا الكلام المفوظ ليس صفته الذاتية؛ لأن صفاته الذاتية أزلية قديمة لا بداية لها. قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك﴾<sup>1</sup>: فكلمة ﴿أنزلناه﴾ عبرت عن حدوث ألفاظه مرتين: مرة بتركيبها، ومرة بمادتها.

وأصل العبارة: أنزل الله القرآن، فالله فاعل، والقرآن مفعول، والفاعل غير المفعول، فزيد غير عمرو ذاتاً وصفاتاً في قولك: ضرب زيد عمروا، فالقرآن غير الله<sup>2</sup> في قولك: أنزل الله القرآن.

ومعلوم أن الله وحده منفرد بصفة القدم، لا يشاركه غيره فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))<sup>3</sup>.

ومادة ((أنزل)) تدل على الحدث أيضاً؛ لأنه لو كانت هذه العبارات والجمل والحروف هي الصفة القديمة لما وصفت بالإنزال، كما أن صفة القدرة لا توصف بالإنزال، والصفات لا تفارق الموصوف، ولا تقوم بنفسها<sup>4</sup>.

ووزن ((مبارك)) يفتح الراء- في الآية يعبر عن أن الله موقع البركة، والقرآن محلها، ويدل على أن القرآن غير الله، وغير الله حادث.

فإن قلت: قد اتفق السلف على أن كلام الله قديم، فكيف تقول الأشاعرة بحدوثه؟  
فالجواب: أن كلام الله يطلق على شيتين:

— الأول على الصفة النفسية الذاتية التي ليست بحرف ولا صوت.

— والثاني على هذه الألفاظ للكتب المقدسة.

وهذه الألفاظ -كما تقدم- لها بدء ونهاية، وأول وآخر، وكل لفظ مسبوق بما قبله، والمسبق بغيره حادث، لأنه لم يكن موجوداً قبل التلفظ به، فلا يمكن أن يوصف بالقدم لا فرداً ولا نوعاً.

<sup>1</sup> من 28

<sup>2</sup> أي ألفاظه، وما نقل عن بعض السلف من الإنكار على الحكم بالغيرية فيصح حمل على معانيه المتعلقة بمثل الله.

<sup>3</sup> البخاري الفتح - 48,7

<sup>4</sup> إقام الحجر

والقرينة على أن السلف يقصدون بوصف لتقديم الإطلاق الأول - وهو الصفة  
الأنفسية - ما صح عن الإمام أحمد، فيما جلوب به المتوكل وغيره كما هو مذكور  
في كتاب السنة وعيون التواريخ وغيرهما - أنه كان يقول: القرآن من علم الله،  
وعلم الله غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق.

فهذا دليل على أنه يريد بالقرآن ما هو قائم بالله<sup>1</sup>.

وكل الكون الحادث بما فيهم الكتب والقارئ من علم الله، وعلم الله غير مخلوق،  
فأنا وأنت قديمان باعتبار وجودنا العلمي في ذات الله أزلا، وحادثان باعتبار  
وجودنا المادي والروحي.

تحليله يؤدي إلى أمور باطلة، لأن القائم بذات الله لا يخلو إما أن يكون أفراد  
للحوادث أو جنسها، فإن كان أفراد للحوادث استلزم ذلك حدوث الله، لأن ما لا  
يخلو عن الحوادث حادث، وهذا ما يقر به ابن تيمية، يقول في منهاجه: وأما تلك  
المقنة القائلة أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فهي صحيحة، إن أريد أحاد  
للحوادث وأفرادها المتعلقة في الوجود<sup>2</sup>.

وإن كان يقصد جنس الحوادث يناقض نفسه؛ لأنه يقول بقيام الحوادث<sup>3</sup> بذات الله،  
ويقول بأن القائم به الجنس القديم، أي أن القول بأن القائم به شيء حادث يتناقض  
مع القول بأن القائم به قديم.

والقائم بذات الله إن كان بمشيقته فيعني هذا أنه لم يكن موجودا ثم وجد لضرورة  
ثبوت الاختيار له، وعليه فيكون الجنس حادثا قديما، وهو ما لا يجوز، لأن  
التقيضين لا يجتمعان.

وإن لم يكن بمشيقته دل على سلب الاختيار عن الله عز وجل، وسلب الاختيار عن  
الله محال<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> كلمة السيف الصفح 197-198

<sup>2</sup> منهاج السنة 118، 1-119

<sup>3</sup> وعلى قصد هذا يكون الجنس حادثا، لأنه يقر بوصف الله بالحوادث، ولا يقصد الأفراد. فلم يبق إلا الجنس

والنوع فيكون الجنس قديما حادثا

<sup>4</sup> ابن تيمية ليس سلبها 153-154

وإذا كان تحليله باطلا، فلا يكون وصف الله بأنه يتكلم بألفاظ مرتبة من صفات الكمال، لأنه يؤدي - كما سلف - إما إلى القول بحدوث الله، وإما إلى القول بسلب الاختيار عنه.

يقول ابن تيمية: ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق، وهو نقص بالنسبة إلى الخالق، وهو كل ما كان مستلزما لا مكان لعدم عليه المنافي لوجوبه وقيوميته، أو مستلزما للحدوث المنافي لقدمه<sup>1</sup>.

3. تحليله يؤدي إلى التناقض، فأقوله السابقة يجزم فيها بأن الله حين يتكلم بالقرآن وغيره يتكلم بصوت وحرف، وما تكلم به فهو قائم به. وأقوله في فتاويه تعارض هذا أو تنفيه، وتنتع قائله بأنه من أهل البدع، يقول ابن تيمية في فتاويه:

وأما قولهم، ولا يقول: إن كلام الله حرف وصوت قائم به، بل هو معنى قائم بذاته، فقد قلت في الجواب المختصر البديهي: ليس في كلامي هذا أيضا ولا قلته قط بل قول القائل: إن القرآن حرف وصوت قائم به بدعة، وقوله: إنه معنى قائم به بدعة. ثم يقل أحد من السلف لا هذا ولا هذا، وأنا ليس في كلامي شيء من البدع، بل في كلامي ما أجمع عليه السلف<sup>2</sup>.

وما يقوله ابن تيمية في هذه الفتوى يوافق ما جاء في مجلس استنابته الذي حضره أئمة وعلماء ذلك الزمان، والذي كتب فيه بخط يده ما نصه:

الحمد لله.

الذي أعتقده أن في القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وليس هو حالا في مخلوق أصلا، ولا ورق ولا حبر ولا غير ذلك... وكل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل، وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى، 87، 6

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى، 30، 5

باطل، وكل ما فى ذلك مما فيه إضلال الخلق، أو نسبة ما لا يليق به إليه، فأنا برئ منه، فقد تبرأت منه، وتائب إلى الله من كل ما يخالفه. كتبه أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة.

وكل ما كتبه فى هذه الورقة، فأنا مختار فى ذلك غير مكروه. كتبه أحمد بن تيمية.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

وبآخر هذا المكتوب رسوم شهادات الأئمة:

• كتب المذكور بخطه أعلاه بحضورى واعترافى: أحمد بن الرفعة.

[وأحمد بن الرفعة هذا له كتاب المطلب العالى فى شرح وسيط الغزالي فى

أربعين مجلداً]

■ أقر بذلك كتبه عبدالعزيز النمراوى.

• أقر بذلك كله بتاريخه. على بن محمد الباجى الشافعى.

• جرى ذلك بحضورى فى تاريخه. الحسن أحمد بن محمد الحسينى.

• كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به عبدالله بن جماعة<sup>2</sup>.

فعلى أي فتوى سنعتمد، وأي عقيدة يا ترى سنعتقد؟ هل نعتقد أن لله صوتاً كما جاء فى الفتوى الأولى المبنوثة فى كثير من كتبه، والتي قال فيها إنها تستند إلى

<sup>1</sup> وقعت لابن تيمية مجالس متعددة، حاوره فيها العلماء، وأقر فيها بخطه، وتاب منه، ثم رجع إليه، ومن أشهر من حاوره:

العلامة كمال الدين الزينكائى ناظره فألجمه.

العلامة محمد بن عمر بن مكى صدر الدين المرحل الذى قال عنه التاج الميكى فى طبقاته الكبرى 23.6: وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة، وبه حصل عليه التعصب من أتباع ابن تيمية، وقيل فيه ما هو بعيد عنه. مسجلة هذه الاستجابة فى نجم المهتدى، والأصل المخطوط محفوظ بمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم 6.38.

تكملة السيف الصبغى 94-95، التوفيق الربانى 38-40.



القرآن والسنة والإجماع؟ أم على الفتوى الثانية التي تقول: إن من يقول بـالفتوى الأولى مبتدع ضال؟

والمسألة مسألة عقيدة، ومن شأن العقيدة الثبات والوضوح، ومن ميزاتها أنها لا تحلها أزمة مادية ولا اضطهاد بشري.

فمن ماذا يعبر هذا التناقض؟ وما الذي يدل عليه هذا التباين؟ ويشير إليه هذا الانتقال من قول إلى قول؟

سفرجع في إجابة هذه الأسئلة إلى ابن تيمية نفسه، فهو أدري بنفسه من غيره،

**يقول ابن تيمية:**

إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع، وجزماً بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر.

وهذا دليل عدم اليقين، فإن الإيمان كما قال فيه قبصر لما سأل أبا سفيان، عمن أسلم مع النبي -صلى الله عليه وسلم-: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطه له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا.

قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشائسته القلوب لا يسخطه أحد.

ولهذا قال بعض السلف -عمر بن عبدالعزيز أو غيره-: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التقل.

وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجوع قط عن قوله واعتقاده<sup>1</sup>.

ويقول ابن تيمية أيضاً في تعليل أسباب التناقض في معرض حديثه في الرد عمن أحد العلماء: وهو متناقض في عامة ما يقوله، يقرر هنا شيئاً ثم ينقضه في موضع آخر، لأن المواد العقلية التي كان ينظر فيها من كلام أهل الكلام المبتدع المذموم عند السلف، ومن كلام الفلاسفة الخارجين عن الملة، يشتمل على كلام باطل -

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 50،4

كلام هؤلاء وكلام هؤلاء- فيقرر كلام طائفة بما يقرر به، ثم ينقضه في موضع آخر بما ينقض به<sup>1</sup>.

وخلاصة هذه النقول :

- أ. أن ابن تيمية ليس من أهل اليقين في هذه العقيدة، لوجود التناقض فيها من الضد إلى الضد.
- ب. لا يشبه الصحابة والسلف في الثبات على العقيدة.
- ج. جعل دينه غرضاً للخصومات، فوجدت عنده ظاهرة التناقض من عقيدة إلى عقيدة.
- د. أن عقيدته في القدم للنوعى التي سبق الحديث عنها، وسبق بيان مخالفتها للنصوص الدينية من كلام الفلاسفة الخارجيين عن الملة.

4. تحليل ابن تيمية لا يعتمد الصدق في الاسناد؛ فقد قال بقيام الحوادث بالله، ونسب هذا القول إلى السلف الصالح وأئمة الحديث، مع أن أول من ابتدع هذا القول الكرامية-المجسمة- أتباع محمد بن كرام، يقول الإمام الاسفراييني فسى بيان مذهبهم:

ومما ابتدعوه من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه، هو قولهم بأن معبودهم محل الحوادث، تحدث في ذاته أقواله وإرادته<sup>2</sup>.

ويقول الشيخ هراس - من أتباع ابن تيمية- في كتابه ابن تيمية السلفي:

وجوز قيام الحوادث بذاته سبحانه الكرامية... وتبعهم ابن تيمية في تجويز قيام الحوادث بالذات، وغلا في مناصرة هذا المذهب والدفاع عنه ضد مخالفيه من

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء 562

<sup>2</sup> التصور في الدين 66

المتكلمين والفلاسفة، وادعى أنه هو مذهب السلف مستدلاً بقول الإمام أحمد وغيره: لم يزل الله متكلماً إذا شاء<sup>1</sup>.

ومما يبطل نسبة الإرادات المتجددة وقيام الحوادث بالله للإمام أحمد، ما قاله أبو الفضل التميمي في كتابه "اعتقاد الإمام أحمد": وذهب أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- إلى أن الله عز وجل يغضب ويرضى، وأن له غضباً ورضاً، وقرأ أحمد قوله عز وجل:

﴿وَلَا تَغْضَبُوا فِيهِ فَيَحْلَلَ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾<sup>2</sup>.  
وأضاف الغضب إلى نفسه.

وقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم﴾<sup>3</sup> الآية.  
قال ابن عباس: يعنى أغضبونا.

وقوله أيضاً: ﴿فَجَزَاوَهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ﴾<sup>4</sup>.  
ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير.

والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه، لم يزل الله تعالى غاضباً على ما سبق في علمه أن يكون مما يفضبه، ولم يزل راضياً على ما سبق في العلم أنه يكون مما يرضيه<sup>5</sup>.

وقول الإمام هذا:

— ينفي حدوث صفة الله، فليس له غضب حادث، ولا رضا حادث، وإنما هو غاضب أزلاً على من علم أنه سيخالفه، راضٍ أزلاً على من علم أنه سيرضيه.

— يرى الإمام أحمد -رضي الله عنه- صراحة من عقيدة قيام الحوادث بالله.

<sup>1</sup> 133-134

<sup>2</sup> طه 81

<sup>3</sup> الزخرف 55

<sup>4</sup> النساء 93

<sup>5</sup> المقالات السنية 77 دار المشاريع

— يدين ابن تيمية الذي نسب هذه العقيدة إلى الإمام مع أنه براء منها.  
يقول المحدث الكوثري: نسبة لقول بقيام الفعل للحادث بالله سبحانه إلى أحمد،  
وجعفر الصادق، وابن عباس رضي الله عنهم - نسبة خاطئة غير صحيحة<sup>1</sup>.

— يضعف الثقة بفتاوى ابن تيمية وبمصداقيته في النقل، يقول المحدث الهرري: لا  
يفتر مطالع كتبه بنفسه هذا الرأي إلى لئمة أهل السنة، وذلك لأنه أن ينسب رأيه  
الذي يراه ويهواه إلى لئمة أهل السنة<sup>2</sup>.

5. تحليله السابق يجعل الله في قائمة المتخلفين من حيث الأداء الصوتي، فصوته يشبه  
الصواعق التي قال الله فيها:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُودَ الْمَوْتِ﴾<sup>3</sup>

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>4</sup>

﴿إِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ﴾<sup>5</sup>

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سمع الرعد والصواعق قال: ((اللهم  
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك))<sup>6</sup> ويجعل صوت البشر العاديين أفضل من  
صوت الله، بل يجعل صوت الحيوانات كالغنادل والقمارى أفضل من صوت  
البارى، لأن أصواتها مستطابة، مستلذة، موزونة، متناسبة المطالع والمقاطع.

ألبيس جمال الصوت صفة كمال لا صفة نقص؟ ومن تكلم بصوت جميل كان أكمل  
ممن لا يتكلم بصوت جميل؟ فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق؟

وكان الواجب على ابن تيمية أن يبحث ويتأمل في حديث الصواعق الذي جاء فيه  
((أن الله كلم موسى بصوت يشبه صوت الصواعق)) متنا وسندا.

<sup>1</sup> ينصرف تكملة صيف الصغول 71

<sup>2</sup> المقالات السنية 96

<sup>3</sup> البقرة 18

<sup>4</sup> الرعد 14

<sup>5</sup> فصلت 12

<sup>6</sup> مسند الإمام أحمد 15، 20 ووصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرعد بأنه ينطق أحسن النطق ويعنى

في مضمونه بالتسبيح والتكبير. الدر المنثور 58، 4 ((قال لمبادئ يقول التي هي أحسن))

فتمتته مخالف لنصوص القرآن القطعية «ليس كمثله شيء»<sup>1</sup> «ولم يكن له كفواً أحد»<sup>2</sup> مما يؤكد عدم صحة الحديث، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ونقل ذلك عنه السيوطي في كتابه (اللائل المصنوعة في الأحاديث الموضوععة 12.1).

وقد أكد العلامة المحدث الكوثري القول بوضعه في الرد على نونية ابن القيم، وقال في مقالاته: لم يصح في نسبة الصوت لله حديث<sup>3</sup>.

6. عقيدته في نسبة الصوت إلى الله تشبه عقيدة اليهود الذين حرفوا الكلم عن موضعه في اللفظ والمعنى، سواء هذا في مقولاته، أو في المراجع التي بحث على قراءتها، ككتاب التوحيد لابن خزيمة الذي يصفه بأنه إمام الأئمة<sup>4</sup>:

— جاء في كتاب التوحيد لابن خزيمة ص 146: فإذا سمعوا صوته صرعوا من عظمة الصوت وشدته.

— جاء في سفر التثنية الاصحاح 5 الآية 24: إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت.

— جاء في كتاب التوحيد لابن خزيمة 137: فعلم أنه —أي الله— كلم بعضهم... فيسمع كلامه ولا يرى شخصه.

— جاء في سفر التثنية الاصحاح 4 الآية 12: فتكلم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتاً.

— يقول ابن تيمية في شرح العقيدة الواسطية ص 96: والله سبحانه نادى آدم وحواء بصوت.

— جاء في سفر التكوين الاصحاح 3 الآيات 8-10: وسمعا —آدم وحواء— صوت الإله ماشيا في الجنة،... فقال آدم سمعت صوتك.

<sup>1</sup> الثوري

<sup>2</sup> الصمد

<sup>3</sup> مقالات الكوثري 28

<sup>4</sup> بالرغم من أنه يقر على نفسه أنه لا يفقه علم الكلام

— يقول ابن تيمية في شرح العقيدة الواسطية 96: والله سبحانه نادى موسى بصوت، جاء مثله في سفر الخروج الاصحاح 19 الآية 19: موسى يتكلم، والله يجيبه بصوت.

— يقول ابن خزيمة في كتاب التوحيد 146: يسمعون صوته عز وجل بالوحي قويا، له رنين وصلصلة.

ويقول سفر أيوب الاصحاح 37 الآيات 2-6: الله يردد بصوته عجبا. ويلاحظ في هذه النقولات التقارب في اللفظ والمعنى والعقيدة، وإذا علمنا ما يقوله أئمة الحديث من أن الأحاديث التي تنسب للصوت لله مباشرة أحاديث غير صحيحة<sup>1</sup>، علمنا مصدر الوضع، ونوع الأيدي الأئمة الممتدة إليها.

7. إذا أخذنا بتحليل ابن تيمية لكلمة الإمام أحمد بن حنبل لم يزل الله متكلمًا إن شاء أن الله لم يزل يكلم أحدا من خلقه منذ القدم، ولا بداية لهذا التكليم، فمعنى هذا أنه لا بداية لوجود المخلوقات؛ لأن صفة التكليم متوقفة على وجود أحد يكلمه.

وهذا ما لا يقره عليه أحد لمخالفته الإجماع والنصوص الدينية:

يقول ابن حزم في كتابه مراقب الإجماع في إنباب الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع: اتفقوا على أن الله عز وجل وحده لا شريك له، خالق كل شيء، وأنه تعالى لم يزل وحده، ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء.

ويقول الألباني في شرحه المختصر للعقيدة الطحاوية ص 35:

العلماء اتفقوا على أن هنالك أول مخلوق، والقاتلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق؛ لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وهكذا إلى ما لا أول له، كما صرح بذلك ابن تيمية في بعض كتبه.

قال جلال الدين الداوودي<sup>2</sup> - رحمه الله تعالى - في شرح المعنوية: وقد رأيت في تأليف لأبي العباس أحمد بن تيمية القول بالقدم الجنسي في العرش<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الأحاديث الصحيحة التي احتدل بها ابن تيمية على إثبات الصوت لله ليس فيها ما يدل على إثبات الصوت لله وميل إلى قريبا تحليلها.

<sup>2</sup> وثقه الحافظ السخاوي في تكملة الطالع.

<sup>3</sup> المقالات المسنية 67

ويعنى هذا أنه لا بداية للعرش نوعاً؛ لأنه ما من عرش حادث إلا وقبله عرش مثله سابق عليه إلى ما لا بداية في الأولية. واعتقاده هذا يخالف به قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))<sup>1</sup>

فالله هو الموجود المنفرد وحده بالوجود في الأزل، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُيُوتُ الْمُنِيرَاتُ﴾<sup>2</sup> وابن تيمية هنا بين خيارين:

### الخيار الأول

أن يؤمن كما آمن غيره من العلماء بأنه كان الله ولم يكن شيء معه.

فإذا آمن عرف بأن قصد الإمام أحمد بقوله: "إن الله لم يزل متكلماً إن شاء" الصفة النفسانية الذاتية القديمة، فهو متصف بصفة الكلام أزلاً قبل أن يكلم الرسل، كما هو متصف بصفة الخلق قبل أن يخلقهم، كما صرح بذلك غلام الخلال من قداماء الحنابلة في المقنع<sup>3</sup>.

وهذا القول منسجم مع قول الإمام الطحاوى الذى ينقل فيه عقيدة السلف وأقوالهم: مازال بصفاته قديماً قبل خلق الخلق... ليس بعد خلق الخلق استقاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استقاد اسم البارئ<sup>4</sup>.

فهو منذ الأزل موصوف بأوصاف الكمال؛ فهو لم يزل خالقاً إن شاء قبل أن يخلق الخلق، ولم يزل محبباً إن شاء قبل أن يهبهم الحياة، ولم يزل بارئاً إن شاء قبل أن يصورهم كيف شاء، ولم يزل متكلماً إن شاء، أي له صفة التكليم قبل أن يوجد أحد يكلمه.

وإذا دل قول الإمام أحمد على الصفة الذاتية القديمة بطل الاستدلال به على قيام الحوادث بالله سبحانه، لعدم دلالة على تجدد الكلام في الذات الإلهية مرة بعد

<sup>1</sup> البخارى - المعنى - 213.7

<sup>2</sup> الحديد 3

<sup>3</sup> تكملة للسيف الصقر 80

<sup>4</sup> العقيدة الطحاوية - طهري - 36-37

أخرى أزلًا، وانتفى الاعتماد عليه في قدم الألفاظ نوعًا، فليس هناك لفظ قبله لفظ صدر منه إلى ما لا نهاية، لعدم وجود من يخاطب في الأزل.

### الخيار الثاني

أو يؤمن بأن العرش حادث فردا قديم نوعًا، لا بداية لنوعه، فيصطدم بالحديث الشريف السابق الذي يدل على أن العرش لم يكن موجودا فكيف يكون قديما (( كان الله ولم يكن شيء غيره ))<sup>1</sup>.

ولا ينفعه ترجيحه لرواية (( كان الله ولم يكن شيء قبله ))<sup>2</sup> التي تدل عند ابن تيمية على نفي تقدم الحوادث على الله فقط دون دلالة على نفي مقارنتها له - أي أن الحديث عنده نفي تقدم شيء عن الله، ولم ينف أن يكون شيء قديما كالله -.  
لا ينفعه هذا الترجيح بلا مرجح، ولا يسلم له :-

أ. أن الروايات الأخرى المتعددة لنفس القصة<sup>3</sup> صريحة في نفي مقارنة أي موجود لله في القدم:

(( كان الله ولم يكن شيء غيره ))

(( كان الله ولم يكن شيء معه ))

(( كان الله قبل كل شيء ))<sup>4</sup>

والمنطوق الصريح مقدم في الاستدلال على المحتمل.

والأحاديث التي يؤمن بها ابن تيمية ويحتج بها تدل أيضا على تأخر خلق العرش على الماء، وعلى عدم وجوده في زمن ما:

<sup>1</sup> البخاري - الميني - 213,7

<sup>2</sup> البخاري - السندي - 172,4

<sup>3</sup> لأنها وردت إجابة لسؤال أهل اليمن للنبي - صلى الله عليه وسلم - عن بدء الخلق

<sup>4</sup> نظر فتح الباري 181,17



— جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي الرزین العقيلي أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: ((كان في عواء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء. ثم خلق عرشه على الماء))<sup>1</sup>.

— وفي الترمذی "أن الماء خلق قبل العرش".

— وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء<sup>2</sup>. والافادات الصريحة الواضحة المتعددة أقوى من الظن الواحد المحتمل في معناه وفي ثبوته، والعمل بالأقوى واجب لكونه أقرب إلى القطع<sup>3</sup>.

هذا كله إن سائرنا ابن تيمية في قفزة المخالفة للإجماع؛ لأن التعامل مع النصوص لا يلجأ فيه الباحث إلى الترجيح إلا بعد العجز عن الجمع بين الأدلة، يقول الحافظ ابن حجر عن الحديث الذي استدل به ابن تيمية كان الله ولم يكن شيء قبله: "تقدم في بدء الخلق بلفظ 'ولم يكن شيء غيره' وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب يعني حديث كان الله ولم يكن شيء قبله" وهي من مستتبع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها، مع أن قضية الجمع تقتضي حمل هذه [كان الله ولم يكن شيء قبله] على التي في بدء الخلق [كان الله ولم يكن شيء غيره] والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق<sup>4</sup>.

يقصد أن الراوي للحديث [كان الله ولم يكن شيء قبله] يقصد ما يقصده باقي الرواة للمعبرين عن نفس الموضوع، بأنه كان الله ولم يكن شيء غيره، والقرينة التي تدل على قصده:

---

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد -فتح- 3، 20-4 هذا الحديث لا يسلم به الأشاعرة لأن في سننه حماد بن سلمة مشكك، وكان يدخل ربهاء في حديثه ما شاء... ويطلق ابن عطاء في سننه تفرد به عن وكيع بن حنس أو عدس وهو مجهول الصفة، وهو تفرد به عن أبي رزین، ولا شأن للمفردات والوحدان في إثبات الصفات فضلا عن السجاهيل وعمن به اختلاط تكلمة السيف 109.

<sup>2</sup> فتح الباري 98، 7، المعين على البخاري 214، 7. لفتح الريفي عن مسند الإمام أحمد 3، 2.

<sup>3</sup> نهاية السؤل 172، 3.

<sup>4</sup> فتح الباري 17، 181.

(1) أن روايته بدأت بالسؤال عن بدء الخلق وأول الأمر "جنناك ... لنمساك عن أول هذا الأمر".<sup>1</sup>

والواجب على قارئ النص الالتفات إلى أول الكلام وآخره وما اقتضاه الحال، لا ينظر في أوله دون آخره، ولا في آخره دون أوله حتى يتبين له المراد، يقول ابن تيمية: التأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم.<sup>2</sup>

(2) أن راويه وهو الصحابي الجليل عمران بن حصين -رضي الله عنه- صرح بقصده في رواية أخرى، بما يعبر على أن لجميع هذا الكون بداية، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يا أهل اليمن اقبلوا بشري إذ لم يقبلها بنو تميم))، قالوا: قبلنا. قال عمران بن حصين: فأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث بدء الخلق والعرش.<sup>3</sup> أي عن بدء الخلق والعرش.

وما يفيد هذا الحديث هو ما يؤمن به السلف الصالح، قال الإمام الطحاوي في عقيدته التي يعبر بها عن عقيدة السلف وأقوالهم:

"ما زال بصفاته قديماً قبل خلق الخلق ... ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري".<sup>4</sup>

ومضمون كلامهم أنه لم يكن شيء مع الله، والسلف بما فيهم عمران بن حصين -رضي الله عنهم- أعلم بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأدري بدلالات كلامه من ابن تيمية.

ب. لأن فهمه بأن العرش حدث فرداً قديماً نوعاً، وأن نوعه يشارك الله في الأولوية والقدم، يؤدي به إلى التهاافت<sup>5</sup>، لأنه حين يكون كل فرد مسبوقاً بالعدم، يكون الكل كذلك، أي مسبوقاً بالعدم؛ لأنه لا وجود للنوع إلا في ضمن أفرادهِ كما تقدم،

<sup>1</sup> البخاري -المندى- 172,4

<sup>2</sup> درء المتعارض 201,1

<sup>3</sup> البخاري -المعنى- 212,7

<sup>4</sup> العقيدة الطحاوية -الهرري- 36-37

<sup>5</sup> الشريعة ليس فيها باطل ولا نكّل عليه «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»

فألمست الجملة شيئاً أكثر من الأفراد مجتمعة، فإذا كان كل فرد حادثاً، لزم من ذلك حدوث الجملة قطعاً<sup>1</sup>.

ومعنى كون الكل حادثاً أنه مسبوق بالعدم، ولأن الله كان ولم يكن شيء غيره.

8. إن تحديد ابن تيمية للفرق بين صوت الله وصوت البشر، بأن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب<sup>2</sup>، لم يعد اليوم يقتنع أحداً، بعد ما أدت نتائج التقنية والعلم الحديث إلى أن أصوات المخلوقات كذلك، تسمع من قرب ومن بعد، بواسطة الهاتف والإذاعة المرئية والمسموعة...

فإن قلت: إن هذه المشابهة جاءت بواسطة الآلات بخلاف صوت الله القوي بذاته: فالجواب:

- (1) أن ابن تيمية حدد الفرق بانفراد الله بالإسماع من بعد ومن قرب.
- (2) أن من المخلوقات من يسمع بنفسه من بعد ومن قرب بلا واسطة، كجبريل الذي صاح صيحة في ثمود سمعها كل أهل ثمود، وكالميت حين يوضع على السرير -النعش- فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان.



<sup>1</sup> انظر ما تقدم من فتاوى في بداية التحليل رقم 1

<sup>2</sup> شرح المفيدة الأصفهانية 28

## التقويم من حيث النص

جعل ابن تيمية مستنده في إثبات عقيدة الصوت لله القرآن الكريم والسنة النبوية.

### 1. القرآن الكريم

استدل ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾<sup>1</sup> الذي يدل عنده على أنه يتكلم بحروف وألفاظ وصوت<sup>2</sup>، لأنه لا يصح في العقل نداء غير مسموع لنا، ولا يسمع إلا الصوت.

#### الجواب:

هذا النص وغيره من النصوص التي استند إليها ابن تيمية، لا تثبت ما يريد إثباته عن طريقها، فالنداء طلب الإقبال عند النحاة واللغويين، وطلب الإقبال عند البشر مشروط فيه الصوت واللفظ والحرف، لكن ما الدليل على أن نداء الله كذلك يشترط فيه اللفظ والصوت، والله ليس كمثل شيء. وعقيدة السلف أهل اللغة أن الله لا يشبه مخلوقاته، فلا يتكلم بحرف، ولا يقول بلفظ كمادة البشر:

يقول الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-: إن الله كلم موسى -عليه السلام- بلا جوارح، ولا أنوات، ولا حروف، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه عن تكيف الصفات.

#### - ويقول:

أمر بلا حروف، قائل لا بألفاظ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 531، 6

<sup>2</sup> المرجع السابق والجزء 532

<sup>3</sup> الانصاف للبهقلائي 90 ابن تيمية ليس سلفيا 69-70

- ويقول الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الكبير ص 51: الله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق.
- ويقول الجنيد - من أئمة التصوف السابقين -: جلت ذاته عن الحدود، وجملت كلامه عن الحروف، فلا حد لذاته، ولا حروف لكلامه<sup>1</sup>.
- والجنيد إمام هدي كما قال ابن تيمية<sup>2</sup>.
- وهذه النقولات تبطل دعوى الإجماع في قول ابن تيمية: إن الله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع<sup>3</sup>.
- فأين هذا الإجماع الذي أكدته ابن تيمية ؟
- ثم إن تحليله للنص القرآني يخالف منهجه الذي بينه في فتاويه، والذي نص فيه على ((أن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه))<sup>4</sup> ولو رعاها لقال: نادى الله موسى ولم يزد، بدون بحث في الكيفية.
- فهو قد خالف منهجه، وخالف عقيدته التي يؤمن بها ((أن صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) لأنه إذا كان نداء الله لموسى بصوته الذي يسمعه من بعد ومن قرب فلم يقتصر سماعه على موسى ؟
- فإن أجاب بأن صوت الله يتفاوت قوة وضعفاً، ويرتفع وينخفض ويتعدد ويتنوع تتناقض مع قوله بأنه صوت لا كأصواتنا؛ لأن أصوات البشر هكذا تتفاوت وتعدد وتنوع، والله يقول عن نفسه «ليس كمثل شيء»
- وإن أجاب بأنني اعتمدت في هذا على الأحاديث، فليس في الأحاديث الصحيحة ما يثبت الصوت لله من أصله، والأحاديث الضعيفة والموضوعة لا يستدل بها في مجال العقيدة.
- وأشهر الأحاديث التي استند إليها ابن تيمية في إثبات الصوت لله:

<sup>1</sup> الإنصاف 90

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 491.5

<sup>3</sup> مجموعة الرسائل والمبائل لابن تيمية 154.3

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 432.5

١- ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال النبي -

صلى الله عليه وسلم-: ((يقول الله: يأثم، فيقول: لييك وسعتيك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))<sup>١</sup>

فظاهر هذا الحديث عند ابن تيمية يدل على أن الله صوتا.

وتأويله هذا يدعو إلى الأخذ بالظاهر مع وجود القرينة الصارفة عنه، وهو ما لا يجوز في تحليل النصوص، فقولك: ((رايت أسدا يخطب على المنبر)) لا يجوز أن تقول إن المقصود من لفظ الأسد فيه الحيوان المفترس، لوجود القرينة الصارفة عن هذا القصد، وهي ((يخطب على المنبر)).

وكذلك الأمر في الحديث الشريف، فجملة ((إن الله يأمرك)) قرينة صارفة عن نسبة الصوت إلى الله، لأنه لو كان الله هو المنادي بصوت لقال ((إني أملك)) مما يدل على أن المنادي ملك بأمر الله، لأن من يخبر عن غيره يأتي باسمه الظاهر.

يقول ابن تيمية: موجب اللغة التي بها خاطبنا، أن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم، فأما من أخبر عن غيره، فإنما يأتي باسمه الظاهر... إن السلطان إذا أمر غيره أن ينادي أو يكلم غيره أو يخاطبه فإن المنادي ينادي: معاشر الناس، أمر السلطان بكذا<sup>٢</sup>.

وهذا ما أوضحه خيثمة -رضي الله عنه- في قوله: يناد مناد يوم القيامة: يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعون<sup>٣</sup>. فنسب النداء للمنادي.

والتعبير في حديث أبي سعيد السابق مشابه للتعبير في الحديث الذي سأل فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جبريل عن تأويل آية «خذ العفو...» فقال:

<sup>١</sup> في باب قول الله تعالى «ولا تفتح للشفاععة عنه إلا بإذنه» البخاري-السندي - 180,4

<sup>٢</sup> مجموع الفتاوى 417,5

<sup>٣</sup> أخرجه أبو نعيم في الحلية الدر المنثور 310,6 ربما يستأنس به في التوجيه أيضا حديث ابن مسعود فهو وإن كان ضعيفا، فالأحاديث الضعيفة يستدل بها في التوجيه، ونصه: ((إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة مناديا ينادي يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثا من ذريتك إلى النار)) مستند الإمام أحمد -الفتح- 116,24 وعظما كتاب أثر الحديث الشريف لمحمد بن عوامة الذي يثبت استعانة السلف بالحديث الضعيف في التوجيه.

حتى أسأل، فصعد، ثم نزل، فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تصفح عن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك)<sup>1</sup>.

ومشابهة للأثر الذي أخرجه ابن عساكر والواسطي عن يزيد بن جابر: يقف إسرائيلي على صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصور، فيقول: يأيها العظام النخرة، والجلود المتفرقة، والأشعار المنقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمع لفصل الحساب<sup>2</sup>.

فالقاعدة - كما قال ابن تيمية - أن من يخبر عن غيره فإنما يأتي بإسمه الظاهر، ولهذا علمنا أن المنادي في الحديث ((فينادي بصوت، إن الله يأمرك...)) ملك يخبر عن الله سبحانه.

## 2- حديث السلسلة

من الأحاديث التي استدل بها ابن تيمية على إثبات الصوت لله تعالى، قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا)) الذي يدل على إثبات صوت لله يشبه الصوت الذي يحدث عند جرس السلسلة على الصفا والصخر.

### الجواب

أ. أن هذا الحديث جاء بيقينه في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود بلفظ ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا))<sup>3</sup> الذي يدل على أن الصوت للسماء، والقاعدة في تفسير النصوص ((أن خير ما يفسر به الوارد)).

ب. أن في الحديث قرينة تكل على أن الصوت لغير الله، وهي التشبيه ((كجر السلسلة)).

فحين شبهه عرف أنه لا يقصد الله، لأن الله «ليس كمثله شيء».

<sup>1</sup> الدر المنثور 166,3

<sup>2</sup> المرجع السابق 122,6

<sup>3</sup> أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب في القرآن

والأخذ بالظاهر الحرفي مع وجود القرينة الصارقة لا يجوز في تحليل النصوص، قال ابن تيمية في الفتاوى الدمشقية:  
 إن الظهور يكون بالوضع اللغوي، أو العرفي، أو الشرعي، أو بما اقترن باللفظ المراد من التركيب الذي تتغير به دلالة في نفسه، أو بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً... وسياق الكلام الذي يعين أحد محتملات اللفظ<sup>1</sup>.

ووجود القرينة في الحديث يعبر عن:

- بيان النبي -صلى الله عليه وسلم- لمقصده من الكلام.
- عدم تدبر من يأخذ بالظاهر الحرفي للنص، واستعجاله في وصف الله بما لم يصف به نفسه، ولم يصفه به رسول -صلى الله عليه وسلم-.
- والفتاوى الدمشقية لابن تيمية:
- تعيننا على تفهم النص السابق، وتؤكد صحة التحليل.
- تبين تعارض ابن تيمية في فتاويه، ففي مواطن منها ينكر المجاز، ويعلن عدم وجوده في اللغة، وفي هذه الفتاوى يصرح بوجوده، ويثبت وقوعه.
- ج- أن تحليله يتعارض مع استدلاله التي وصف فيها صوت الله بأنه جميل، لأن صوت جر السلسلة على الصخر عفيف مزعج، يبعث القلق في النفس، ويخل عليها الضيق والاستياء.
- 3- ما رواه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَفْعَلْ الشَّاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنَهُ﴾، قال: ويذكر عن جابر عن عبدالله بن أنيس قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت، يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديان))<sup>2</sup>.
- وهذا الحديث يدرس من ناحيتين:
- من حيث صحته.
- من حيث دلالة.

<sup>1</sup> شرح نونية ابن القيم 131

<sup>2</sup> البخاري -الفتح- 234، 17



### من حيث الصحة.

هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بصيغة التمريض [[ويذكر عن جابر]] دلالة على أنه ليس على شرطه.

وأخرجه في كتابه الأدب المفرد، وأخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني كلهم من طريق همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل<sup>1</sup>، فمدار الحديث على عبد الله بن محمد بن عقيل، الذي قال عنه الإمام أحمد: منكر الحديث، وعن ابن معين: ابن عقيل لا يحتج بحديثه، وقال عنه ابن المديني: كان ضعيفا. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن خزيمة: لا أحسب به لسوء حفظه، وقال عنه الذهبي: لا يرتقى خبره إلى درجة الصحة والاحتجاج. وللحافظ المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في الحديث المذكور<sup>2</sup>. ولا يعتمد على توثيق الهيثمي لرواية أحمد، لأن مدارها أيضا عن القاسم بن محمد.

ويدافع بعض العلماء بما ذكره ابن حجر في الفتح (1، 174) بأن له طريقا آخر، أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وتام في فوائده، من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكر، عن جابر بمعنى حديث أنس. قال عنه ابن حجر: إسناده صالح.

والجواب - كما قال الشيخ حسن السقاف - كيف يقبلون قول الحافظ ابن حجر ((وإسناده صالح)) مع أن إسناده غير صالح، نوجود المجاهيل في طريق الطبراني في مسند الشاميين، وتلف إسناده الخطيب، ويرفضون بعد ذلك قول الحافظ في ((التلخيص)) عن حديث التلقين للميت بعد الدفن وإسناده صالح؟ فعثمان الصيدائوي الذي في مسند الطبراني في مسند الشاميين، وشيخه سليمان بن صالح مجهولان، وشيخ الثاني وهو عبد الرحمن بن ثابت صدوق يخطئ، رمي بالقدر، تغير بأخرة كما في التقريب<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فتح الباري 17، 234.

<sup>2</sup> تكملة السيف الصقيل 71-72.

<sup>3</sup> إقام الحجر على المتطول على الأشاعة 31.

وعلى فرض صحة الحديث فلا نص فيه على أن الصوت لله؛ لأن الضعيف المستتر في الفعل "يناديهم بصوت" يرجع إلى القائم بالحشر، أي أن المنادي هو الحاشر، والحاشر للعباد يوم القيامة الملائكة «إن الذين سبقت لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون»، أخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي ذر قال: حدثني الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج ركبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم، وتحشرهم إلى النار))<sup>1</sup> وأسند الرسول -صلى الله عليه وسلم- الفعل إلى الله، لأنه الأمر به، قال الله تعالى: «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم»

وهذا التحليل موافق لقاعدة ابن تيمية في تأويل النصوص التي تقول: إن الأفعال والألفاظ التي وردت في القرآن عن الله، مشتملة على ضمائر الجمع، والتي تحدث عن تدبير الكون، مثل: إنا، ونحن، ونحيي، ونميت، ونعلم، ونكتب، ونسمع، وكذلك الأسماء المشتقة مثل: حافظون، ومنقموون... تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للأفعال<sup>2</sup>.



<sup>1</sup> البحار للفتاوى للسيوطي 197،2 وفي مستد الإمام أحمد الوليد بن جمع روى له مسلم متقدمة، واحتج به النسائي مستد الإمام أحمد مع لفتح 101،24 وفي البحار ومسلم والنسائي: ((يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طوائف: راغبين وراغبين، وتثنان على بغير وعشرة على بغير، وتحشر بقية النار)). وعند ابن مردويه عن الثقفين ((يأتون بنوق من الجنة)) قاله في تفسير قوله تعالى: «فونحشر المتقين إلى الرحمن وفداً» وعند ابن أبي شيبة والحاكم وصححه ((ما يحشرون على أرجلهم ولا يساقون سوقاً. ولكنهم يأتون بنوق من فوق الجنة)) الدرر 313،4

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 512،5-513

## أمثلة القاعدة:

1. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهِ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾<sup>1</sup> جاء فيه الفعل بصيغة الجمع «قُرْآنَهُ» ليدل على أن الله باعتباره الأمر، ويدل على جبريل باعتباره المباشر للقراءة والقائم بها.<sup>2</sup>
2. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَنَنَاهُمْ بَكْتَابٍ﴾<sup>3</sup> والآتي به جبريل، وأسند الله الإتيان إليه باعتباره الأمر.
3. قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾<sup>4</sup> ويقال فيه ما قيل في الأول والثاني، عن الحسن أن جبريل -عليه السلام- اجتث مدينة قوم لوط من الأرض، ثم رفعها بجناحه، حتى بلغ بها حيث شاء، ثم جعل عاليها سافلها.<sup>5</sup>
4. قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>6</sup> قال السدي: قال جبريل لسارة: أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب.<sup>7</sup>
5. قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾<sup>8</sup> والمباشر للطمس جبريل كما قال ابن عباس.<sup>9</sup>
6. قال الله تعالى: ﴿فَسَقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾<sup>10</sup> والسائق له ملك، أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الرعْد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب، بيديه

<sup>1</sup> القوام 17

<sup>2</sup> انظر الدر المنثور 324,6

<sup>3</sup> الأعراف 51

<sup>4</sup> هود 81

<sup>5</sup> الدر المنثور 374,3

<sup>6</sup> هود 70

<sup>7</sup> المرجع السابق والجزء 369

<sup>8</sup> القمر 37

<sup>9</sup> المرجع السابق والجزء 373

<sup>10</sup> فاطر 9

مخراق من نار، يَرْجَزُ به السحاب، يسوقه حيث أمره الله<sup>1</sup> ونسب الله الفعل لنفسه باعتباره الأمر.

7. قال الله تعالى: «ونكتب ما قدموا وآثارهم»<sup>2</sup> فأخبر بالكتابة بصيغة الجمع، لأن جنده يكتبون بأمره «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»<sup>3</sup>.

8. قال الله تعالى: «ونعلم ما توسوس به نفسه»<sup>4</sup> فدل على علم الله، وعلى علم الملائكة «أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون»<sup>5</sup> فهو يسمع ومن يشاء من الملائكة يسمعون «وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون»<sup>6</sup>.

9. قال الله تعالى: «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد»<sup>7</sup> فعبر بصيغة الجمع ((نحن)) مثلما عبر في قوله تعالى «ونكتب ما قدموا» لما كانت ملائكته متقربين إلى العبد بأمره<sup>8</sup>.

10- 13- وكذلك القول في قوله «ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا» «ولقد وصلنا لهم القول» «نمليه جهنم» «سندخلهم جنات...» مما نسب الله الفعل فيه لنفسه باعتباره الأمر.



<sup>1</sup> المرجع السابق 58,4

<sup>2</sup> يسين 11

<sup>3</sup> ق 18

<sup>4</sup> ق 16

<sup>5</sup> الزخرف 80

<sup>6</sup> الأنفال 10-12

<sup>7</sup> ق 16-17

<sup>8</sup> نظر الفتاوى لابن تيمية 512,5-513

## القاعدة

الأفعال والكلمات التي وردت في القرآن تتحدث عن تنبيه<sup>1</sup> الكون بصيغة الجمع، تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل.

## تطبيق القاعدة على الموضوع

14-18 بتطبيق هذه القاعدة على قوله تعالى: «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم»<sup>2</sup> «فوريث لنحشرهم والشیاطین ثم لنحضرهم حول جهنم جنبا»<sup>3</sup> «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا»<sup>4</sup> «يوم ندعوا منادی - كل أناس بإمامهم»<sup>5</sup> نستنتج أن الحشر والمحضر والمنادی هم الملائكة، وأن الإسناد في الحديث الشريف السابق ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت)) إسناد مجازي، وأن المباشر والقائم بالفعل هم الملائكة.

ويدل على صحة هذا الاستنتاج والتأويل من القران المنفصلة:

- بالنسبة للحشر والإحضار الأحاديث التي تنبئ عن أن الملائكة هم القائمون بهما، وقد تقدم بعضها.
- بالنسبة للنداء:
- أ. ما قاله خيثمة - رضي الله عنه: ((يناد مناد يوم القيامة، يخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعون))<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يعني هذا التمهيد أنه لا يقصد به مثل قوله تعالى «نحن نوث الأرض»، مما لا علاقة له بالتنبيه، كما لا تشمل هذه القاعدة ما كتبت القراءن مباشرة فيه للفعل بنفسه.

<sup>2</sup> الإسراء 97

<sup>3</sup> مريم 67

<sup>4</sup> مريم 85

<sup>5</sup> الإسراء 71

<sup>6</sup> أخرجه أبو نعيم في الحلية الدر المنثور 310,6

ب. ما أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي -رضي الله عنه- قال: يحشر الله الناس يوم القيامة. وينادي مناد، فيسمع الناس الصوت يأتونه، فذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ -المنادي- لا عوج له<sup>1</sup>﴾.

فأسند في هذا الأثر وفي الذي قبله للدعاء لغير الله، ومثل هذا لا يقال بالرأي. وكلام القرظي كأنه تفسير لحديث البخاري السابق ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت)) مما يؤكد صحة القاعدة السابقة في التأويل، التي تنص على أن نون الجماعة في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا -ندادى- كل أناس بإمامهم﴾ تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إنكم مجموعون بصعود واحد، ينفذكم البصر، وتسمعون الداعي<sup>2</sup>".

ج. ما رواه الطبراني عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم... ثم ينادى مناد: أيها الناس...))<sup>3</sup> فنسب النداء للمنادي.

د. ما أخرجه ابن القيم في حادي الأرواح -في هامش أعلام الموقعين 2، 97- عن الدارقطني من حديث أبي موسى: ((يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت، يسمعه أولهم وآخرهم))<sup>4</sup>.

وفي هذا الحديث بوقتان:

البيان الأول أن المنادي هو الملائكة، وأن من صفات الملائكة إحداث الصوت، وفي حديث مسلم ((فبينما أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الدر المنثور 4، 338.

<sup>2</sup> رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير رباح الفخمي وهو ثقة مجمع الزوائد 10، 346.

<sup>3</sup> المرجع السابق والجزء 343 ورجاله رجال الصحيح غير الدلائي وهو ثقة.

<sup>4</sup> تكملة السيف الصقل 172 وهذا الحديث يقوى حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، والذي جاء فيه: ((إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة منادياً ينادي: يا آدم، إن الله ولمرك أن تبعث معنا من ذريتك إلى

فقر)) سند الإمام أحمد -الفتح- 116، 24.

<sup>5</sup> مسلم -الأبي- 1، 301.

- البيان الثاني أن معنى الجملة التي وردت في حديث أنيس ((يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) هو معنى جملة ((يسمعه أولهم وآخرهم)).  
**فإن قلت:** جاء في حديث الحشر أن المنادى يقول: ((أنا الديان، أنا الملك)) مما يدل على أن المنادى هو الله.

### والجواب:

1. أن النصوص دلت على أن المنادى ملك من الملائكة وأن نسبة النداء لله نسبة مجازية.
2. أن هذا التعبير في صياغته مشابه لـ:  
 1. ما جاء في صحيح البخاري في حديث المعراج الذي ذكر فيه تخفيف الصلاة من الخمسين إلى خمس ((فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي))<sup>1</sup>.
- ب. ما أخرجه ابن جرير عن سليمان التيمي قال: سمعت أن الناس حين يبعثون ليس فيهم إلا فرع، فينادى مناد: ((يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون))<sup>2</sup> فهذا نصان يدلان على أن الملك يقول مبلغاً عن الله.
- ج. قال الله تعالى: «ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أنيس لي ملك مصر»<sup>3</sup> فنسب الله النداء والقول إلى فرعون مع أنه لم يباشِر واحداً منهما، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: «ونادى فرعون في قومه» قال: ليس هو نفسه، ولكن أمر أن ينادى<sup>4</sup>.
- د. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثالث الأخير من الليل، يقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له...)) فنسب القول إلى الله وأضاف الجزاء إليه ((فأتوب عليه: فأغفر له)) مع أن المباشر للقول هو الملك، كما جاء بيانه في حديث: ((ينادى مناد كل ليلة،

<sup>1</sup> أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناهج الأنصار، باب المعراج -مسند- 233,2

<sup>2</sup> لغير المستور 24,6 وهذا الأثر أيضاً من الفرقين المنفصلة التي تنسب النداء لغير الله

<sup>3</sup> الزخرف 50

<sup>4</sup> قدر 21,6

هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى))<sup>1</sup> وجاء في حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الله عز وجل يمهّل حتى يمضى شطر الليل، فينادى مناد: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى))<sup>2</sup>.

وأخرجه الطبراني بلفظ ((تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكرب فيفرج عنه))<sup>3</sup>.

هـ. قال الله تعالى عن آدم وحواء «ولمّا داهما ربهما ألم أنّهما عن تلكما الشجرة وأقلّ لكما إنّ الشيطان لكما عدو مبين»<sup>4</sup>

فنسب الله النداء والقول إليه، مع أن المباشر له الملك<sup>5</sup>.

### ملاحظة

طريقة التعبير الديني، وعادة الاستعمال الشرعي حين تسند الفعل إلى الله والملائكة لا تقتصر على صيغة الجمع:

19. قال الله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»<sup>6</sup>.

ففي هذه الآية أسند الله الفعل لنفسه ((أسرى)) بصيغة الأفراد، مع أن القائم به هو البراق تحت إشراف جبريل -عليه السلام-<sup>7</sup>

20. قال الله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا»<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> مسند الإمام 4، 22

<sup>2</sup> صحيحه الحافظ أبو محمد عبد الحق المقالات السنة 102

<sup>3</sup> رواء البراني ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد 10، 153

<sup>4</sup> الأعراف 21

<sup>5</sup> المقالات السنة للمحدث الهروي 116

<sup>6</sup> الإسراء 1

<sup>7</sup> انظر أحاديث الإسراء والتفسير في هذه الآية

<sup>8</sup> الشورى 48



فأسند الله الكلام إليه في الحالات الثلاث، مع أن المباشر للكلام في الصورة الثالثة هو الملك، وأسند الله لنفسه باعتباره المرسل والأمر.

21. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَتُوفَى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾<sup>1</sup> فأسند التوفي إليه، مع أن المباشر له هو الملك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾<sup>2</sup>.

22. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾<sup>3</sup> مع أن القائم بالحشر والجمع هم الملائكة، أخرج ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>4</sup> عن بريدة قال: ملك قائم على صخرة بيت المقدس، واضع في أذنيه، ينادي يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى الْحِسَابِ.

وأخرج ابن عساکر والواسطي عن يزيد بن جابر في قوله تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ﴾ قال: يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصور، فيقول: يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ النُّخْرَةَ، وَالْجُلُودُ الْمُنْفَرِقَةَ، وَالْأَشْعَارُ الْمُنْقَطِعَةَ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعِيَ لِفَصْلِ الْحِسَابِ<sup>5</sup>.

23-24- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾<sup>6</sup> «ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه»<sup>7</sup>.

ويقال فيهما ما قيل في النص السابق.

25-26- قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَرِيكُمْ الْبَرْقَ غُوفًا وَطَعْمًا وَنُشْءَ السَّحَابِ انْتِفَالًا﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الزمر 39

<sup>2</sup> المجدة 11

<sup>3</sup> القصص 9

<sup>4</sup> ق 41

<sup>5</sup> الدر المنثور 122,6

<sup>6</sup> انفاء 129

<sup>7</sup> آل عمران 9

<sup>8</sup> الرعد 13

ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله عز وجل ينشئ السحاب))<sup>1</sup> ففي هذين النصين نسب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- إنشاء السحاب إلى الله، لأنه الأمر به، بالرغم من أن المباشر له ملك من الملائكة:

- أخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن خزيمة بن ثابت -رضي الله عنه- سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن مفتأ السحاب، قال: ((إن ملكاً موكل بالسحاب، يلج القاصية، ويلج الدانية، في يده مخراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعدت))<sup>2</sup>.

- وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الرعد ملك من ملائكة الله، موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب. يسوقه حيث أمره الله))<sup>3</sup>.

27. ومن النص السابق قوله تعالى: «وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا»<sup>4</sup> والمسؤول عن الغيث ملك من الملائكة، جاء في الحديث الشريف ((استأذن ملك القطر -المطر- أن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم))<sup>5</sup>.

28. قال الله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات»<sup>6</sup> وتلقاه كان عن جبريل المرسل من رب العالمين، كما جاء عن ابن عباس<sup>7</sup>، واصطف التلقي إلى الله باعتباره الأمر المرسل.

<sup>1</sup> رجاله ثلاث مستند الأئمة أحمد 14,2

<sup>2</sup> أخرجه ابن مردويه الدر المنثور 58,4

<sup>3</sup> المرجع السابق والجزء والصفحة

<sup>4</sup> الشورى 26 المسؤول عن المطر ملك من الملائكة -ميكائيل- الدر 346,6

<sup>5</sup> رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد 193,9

<sup>6</sup> البقرة 36

<sup>7</sup> الدر 65,1

29. عن مجاهد في قوله تعالى: «السماء منفطر به»<sup>1</sup> قال: مثقلة بالله<sup>2</sup>، فأضاف سبب الانفطار إلى الله، مع أن سببه القريب هو الخوف من يوم القيامة، أخرج الطبرسي في مسائله عن ابن عباس، أن نافع الأزرق سأله عن قوله «منفطر به» قال: متصدع من خوف يوم القيامة. وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله «السماء منفطر به» قال: مثقلة بيوم القيامة<sup>3</sup>، وعن ابن جريج: إذا جاءت الساعة انشفت السماء<sup>4</sup>.

والمصباح يؤكد هذا، قال الله تعالى: «يومًا يجعل الولدان شيبًا السماء منفطر به» أي باليوم. وإنما أضافه مجاهد لله؛ لأن منشئ يوم القيامة، وسبب الخوف فيه هو عذاب الله وعقابه وهوله، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله «السماء منفطر به» قال: مثقلة بذلك اليوم من شدته وهوله<sup>5</sup>.

30. عن النعمان بن بشير أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة))<sup>6</sup> فنسب الإنزال إلى الله مع أن القائم به جبريل -عليه السلام- «قل نزل به روح القدس».

31. أخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يقول الرب عز وجل: سيعظم أهل الجمع من أهل الكرم، فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله، قال: أهل الذكر في المساجد<sup>7</sup> فنسب فيه القول إلى الرب عز وجل باعتباره الأمر، مع أن المباشر للقول الملك، أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، عن عتبة بن عامر

<sup>1</sup> المزمّل 18

<sup>2</sup> أخفقه في القاعدة لأنه لا يقال فيه بالرأي، بل يكون من باب المثال

<sup>3</sup> قدر 310,6

<sup>4</sup> انظر المرجع السابق 163,3-164

<sup>5</sup> قدر 310,6

<sup>6</sup> أخرجه أبو عبيد والدارمي والترمذي والنسائي وابن خزيمة ومحمد بن نصر، وابن حبان، والحاكم

وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات قدر 389,1

<sup>7</sup> المرجع السابق 58,3

قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سفر، فقال: ((يجمع الناس في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، فينادي مناد: سيعلم أهل الموقف لمن الكرم اليوم)). وفي رواية ((فيقوم مناد فينادي))<sup>1</sup>.

32. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يقول الله: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))<sup>2</sup> فنسب النداء إلى الله، مع أن القائم به ملك، كما سبق بيانه، لأن من يخبر عن غيره يأتي باسمه الظاهر، وهذا ما أوضحه خيثمة -رضي الله عنه- عند تفسير قوله تعالى: «يوما يجعل الولدان شيبا» قال: يناد مناد يوم القيامة: يخرج بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعون، فمن ذلك شيب الولدان.

وقد تقدم أنفا عند قوله تعالى: «يوم ينادى المنادى» أن القائم بالنداء الملائكة. 33. قال الله تعالى: «وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة» مع أن المنادى ملك من الملائكة كما تقدم.

34. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يلزل ربنا إلى السماء الدنيا)) مع أن النازل ملك كما سبق إثباته.

35. جاء في حديث الشفاعة ((...فيأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه، فيخر ساجدا قدر جمعة، ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع))<sup>3</sup> فأسند فيه قول الجمل ((ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع)) إلى الله عز وجل، مع أن القائل هو جبريل، كما جاء بيانه في حديث آخر، يتكلم على نفس المشهد ((...فأوحى الله إلى جبريل -عليه السلام- أن اذهب إلى محمد، فقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع))<sup>4</sup>.

وهذا يدل على أن الصحابة والملف الصالح مدركون لمعنى النصوص المتشابهة، عارفون بتأويلها المجازي، لأن اختلاف الروايات للمشهد الواحد،

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء 57-58

<sup>2</sup> البخاري-السني - 180,4

<sup>3</sup> رواه أبو يعلى وأحمد ورجالهم ثقات مجمع الزوائد 377-378

<sup>4</sup> رواه أحمد ورجالهم رجال الصحيح المرجع السابق والجزء 376-377

يعبر عن أن الحديث روى بالمعنى، وأن بعضهم عبر مثلاً ((بقال الله))  
والآخر عبر ((بقال جبريل)) وكلا التعبيرين صحيح، لأن المعنى واضح،  
والمقصود ظاهر، وقد لفت القرآن الكريم من بداياته الأولى في مكة المكرمة  
أنظار المسلمين، إلى أن المباشر للأفعال والقائم بها هم الملائكة الكرام  
«فالمديرات أمراً»<sup>1</sup> سواء كان التعبير بصيغة الجمع أو بصيغة الإفراد.

والمدرَك لعادة الاستعمال الشرعي، والمنتهى لأسلوبه في التعبير، تتجلى أمامه  
معاني كثيرة من النصوص المتشابهة. فيدرَك القائم بها، والمباشر لعملها فـ:  
لا يجد إشكالا في فهم قوله -صلى الله عليه وسلم- : ((إن ربي عز وجل أتاني  
الليلة في أحسن صورة، فقال لي يا محمد، هل تدرى فيم يختصم الملائكة الأعلى،  
فقلت: لا أعلم يا رب، قال:

فوضع كفيه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله في صدري، فتجلى لي ما بين  
السما والأرض...))<sup>2</sup> لأن عادة الاستعمال الشرعي في مثل هذه النصوص  
تدل على أن الآتي ملك، والقرينة اللفظية في الحديث ((فوضع كفيه بين كتفي))  
تؤكد هذا، وتفسر أهل الظاهر لها بأنها يد الله تفسير بعيد، لأن يد الله عندهم  
عظيمة تسع السماوات والأرض<sup>3</sup>، فكيف تتحصر فيما بين كتفي النبي -صلى  
الله عليه وسلم- بخلاف يد الملائكة، فالملائكة لها قدرة التشكل والتمثل «فتمثل  
لها بشراً سوياً».

وأغلب الظن أن هذا الملك هو جبريل -عليه السلام- لأن ليد جبريل -كما جاء  
في الحديث الشريف- علاقة بالفتح والتجلي ((فياخذ جبريل -عليه السلام-  
بضبعه -أي النبي -صلى الله عليه وسلم- فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء  
شيئاً لم يفتح على بشر قط))<sup>4</sup> قاله في أحداث القيامة.

<sup>1</sup> التذات 5 ومن المعاني التي تدل عليها هذه الآية أيضاً أن نسبة التصريف لغير الله في هذا الكون لا  
تدل على الشرك، لأن الكل يتصرف بإذن الله ومشيقته، فهم خدم وجند له سبحانه وتعالى.

<sup>2</sup> أخرجه الطبراني والخطيب ومحمد بن نصر الدر المنثور 353,5

<sup>3</sup> عندهم أن الأرض والسماوات في قبضته يومئذ لا تسوى خردلة تنظر كتاب التوحيد لابن عبيد  
الوهاب 139

<sup>4</sup> رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبرزور رجالهم ثقات مسند الإمام مع لفتح 125,24-126

- وكذلك القول في قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله خلق آدم على صورته)) فيعادة الاستعمال ندرك أن القائم بالخلق من أهل السماء، وأضيف الفعل إلى الله لأنه الأمر، وبالقريئة اللفظية ((على صورته)) ندرك نوع هذا القائم، وأنه من صنف الروح، فعن ابن عباس قال: الروح أمر من أمر الله، وخلق من خلق الله، وصورهم على صورة بني آدم.<sup>1</sup>  
وعن مجاهد قال: الروح يأكلون، ولهم أيد وأرجل ورؤس، وليسوا بملائكة.<sup>2</sup>  
ويكون معنى الحديث: إن روح الله خلق آدم على صورته.

وهذا التأويل موافق لعادة الاستعمال الشرعي وطريقته في التعبير، وموافق لقاعدة ابن تيمية التي تقول: إن الألفاظ الواردة في القرآن بصيغة الجمع التي تتحدث عن تكبير الكون مثل: إنا نحن، نعمت، نعلم، نكتب، نسمع... تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للأفعال<sup>3</sup>، قال الله تعالى عن خلق آدم بصيغة الجمع: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾<sup>4</sup> ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾<sup>5</sup>، فأسند الله الخلق لنفسه باعتباره الأمر، وعبر بصيغة الجمع ليدل على مباشرة الروح للخلق، وهو ما تؤكد عادة الاستعمال الشرعي كما سبق بيانه.

والإضافة في قوله تعالى عن آدم: ﴿خلقت يدي﴾ للتعظيم، كقوله تعالى عن بيعة الرضوان: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾<sup>7</sup> وكقوله: ﴿ناقة الله﴾<sup>8</sup> ﴿بيت الله﴾ لأن

<sup>1</sup> الدر المنثور 123,4

<sup>2</sup> المرجع السابق 344,6

<sup>3</sup> سبق تقريرها

<sup>4</sup> المؤمنون 12

<sup>5</sup> الأعراف 10

<sup>6</sup> ص 74

<sup>7</sup> الفتح 10

<sup>8</sup> الشمس 13

القائم بالأمر في خلق آدم -عليه السلام- روح عظيم. عن عكرمة قال: الروح أعظم خلقا من الملائكة<sup>1</sup>.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: الروح في السماء السابعة، وهو أعظم من السماوات والجبال ومن الملائكة. وعن الضحاك قال: الروح حاجب الله<sup>2</sup>.

وبإضافة الخلق إلى غير الله مبهودة في النص الديني:

- أخرج أحمد ومسلم والبيهقي في الأسماء والصفات عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأذني هاتين، يقول: ((إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة)).

وفي لفظ ((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها...))<sup>3</sup>.

فنسب التصوير والخلق للملك باعتباره المياثر للفعل، ونسبه الله إلى نفسه باعتباره الأمر ((فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه)... ((ولقد خلقناكم ثم صورناكم)) ((ولقد خلقنا الإنسان من نطفة)) والتعبير بصيغة الجمع ((خلقناكم)) ((صورناكم)) يؤكد صحة القاعدة السابقة، وشمولية قوله تعالى ((فالمدبرات أمرا)) للخلق والتصوير.

- قال الله تعالى عن عيسى -عليه السلام-: ((إني أخلق لكم من الطين كهينة الطير فانفخ فيه فيكون طائرا يلائن الله))<sup>4</sup>.

- جاء في الحديث الشريف ((فأرسل ربك عز وجل السماء بهضاب من عند العرش، فلمصر إليك ما تدع على ظهرها من مصدع قتل، ولا مدفن ميت، إلا شقت القبر عنه، حتى تخلقه من عند رأسه، فيستوي جالسا))<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الدر 344,6

<sup>2</sup> المرجع السابق والجزء 373

<sup>3</sup> الدر المنثور 379,4

<sup>4</sup> آل عمران 48

<sup>5</sup> رواه الطبراني وعد الله وأحد طريقى عبد الله يسنادها متصل وزجلها ثقات مجمع الزوائد 341,10

والخلاصة أن إسناد الخلق إلى الله إسناد مجازي باعتباره الأمر، وأن المقصود بالصورة في قوله ((على صورته)) هو الروح، ولا يجوز أن يعاد الضمير على الله، نقل الحافظ البيهقي عن الإمام أبي سليمان الخطابي أنه قال: إن الذي علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه، أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية، والكيفية منقبة عن الله وعن صفاته<sup>1</sup>.

وقال الإمام الشافعي: اعلموا أن الصور والتركيب تستحيل على الله تعالى للمعنى الذي ذكرنا في الجسم، ولأن ذا الصورة لا يختص بصورة دون صورة، إلا بمخصص هو فاعله وخالقه، ومن يكون له صورة أيضا مخلوق لا إشكال فيه، ولأن الصورة لا تشبه المصور، والله تعالى خالق كل شيء، وصورته «ليس كمثله شيء» وقال الله تعالى: «هو الله الخالق البارئ المصور»<sup>2</sup>. ونقل البيهقي في مناقب أحمد، عن رئيس الحنابلة أبي الفضل التميمي أنه قال: أنكر أحمد على من قال بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسك وتركيب وصورة وتأليف، والله خرج عن ذلك كله<sup>3</sup>.

وبنفس القاعدة السابقة في الاستعمال الشرعي تترك:

أ. أن إسناد الفعل إلى الله في قوله تعالى: «وكتبناه في الأنواح من كل شيء»<sup>4</sup> إسناد مجازي باعتباره الأمر بالكتابة، وأن المباشر للكتابة هو المسؤول عن خلق آدم -عليه السلام- قال عكرمة: إن الله لم يمس شيئا إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده<sup>5</sup>.

ب. أن المباشر للطّي يوم القيامة ملك من الملائكة في قوله «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب»، وهذا الطّي سيكون يوم القيامة، قال الله تعالى: «والأرض

<sup>1</sup> الأسماء والصفات 296

<sup>2</sup> اللغة الأكبر من 10

<sup>3</sup> تكملة السيف 90

<sup>4</sup> الأعراف 145

<sup>5</sup> قدر المنثور 3،



جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» وقال عن السعداء «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم تطوى السماء كطي السجل للكتاب» أي لا يحزنهم الفزع، وتلقاهم الملائكة يوم الطي، والأحاديث التي تحدد زمن الطي بأنه في آخر أيام الدنيا أحاديث ضعيفة.

وما قيل في هذه الآية يقال في الحديث الشريف ((يطوى الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟))<sup>1</sup> فالطاوي هو الملك، والضمير في ((يأخذهن بيده اليمنى)) يعود على الطاوي، وقوله من باب التبليغ عن الله كما سبق بيانه انفاً.

أن القائم بالحمل ملك من الملائكة أو روح من الأرواح العلوية، فيما أخرجه سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر والدارقطني في الأسماء والصفات عن ابن مسعود رضي الله عنه - قال: جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل السموات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك))<sup>2</sup> فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت فواجده تصديقاً لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته»<sup>3</sup>.

وجملة ((إن الله يحمل السموات)) مشابهة للجمل التي تقدمت في بيان القاعدة:

«الله يتولى الأنفس حين موتها»

«إن الله جامع المنافقين والكفار في نار جهنم»

«إن الله عز وجل ينشئ السحاب»

((يقول الرب عز وجل ارفع رأسك))

«سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً»

<sup>1</sup> مسلم

<sup>2</sup> تقدم بيان أن الملك يقول هذا محبوا عن الله.

<sup>3</sup> الدر المنثور 368.5

والتي تقدم التذليل على أن الإسناد فيها مجازي، وأن القائم بالفعل فيها والقول هم الملائكة الكرام.

ولهذا جاء في العقيدة الطحاوية التي تعبر عن أراء السلف للإمام الطحاوي :  
تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات<sup>1</sup>.

مما يدل على أن السلف -رضي الله عنهم- لم يفهموا من أمثال النص  
المندروس أن الله أصبغاً أو أصابع.

قال الإمام الشافعي في كتابه الفقه الأكبر: الباري تعالى ليس بذي أجزاء  
وأبعاض، بل هو واحد، كما قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ والمجتمع المؤلف  
لا يكون واحداً<sup>2</sup>.

قال الإمام عبد القاهر البغدادي: أجمع أهل السنة على إحالة وصفه بالصورة  
والأعضاء<sup>3</sup>.

د. أن نسبة الإحاطة إلى الله في قوله تعالى: ﴿والله محيط بالكافرين﴾ نسبة  
مجازية، وأن القائم بها والموصوف بها حقيقة خلق من خلق الله وجند من  
جنوده، أخرج ابن أبي الدنيا في العقوبات وأبو الشيخ في العظمة عن ابن  
عباس قال: خلق الله جبلاً يقال له ((ق)) محيط بالعالم، وعروته إلى الصخرة  
التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل، فحرك العرق  
الذي على تلك القرية، فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية<sup>4</sup>.

هـ. أن نسبة الانتهاء إليه في قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ «إني متوفيك  
ورافعت إلي» «بل رفعه الله إليه» نسبة مجازية، وسيأتي تحقيق وبيان لهذه  
النصوص في مبحث الاستواء.

<sup>1</sup> شرح العقيدة الطحاوية الهروي - 163

<sup>2</sup> ص 10 نقلتها عن كتابه ((هذه عقيدة السلف والخلف)) لابن خزيمة عثوي وكتاب الإمام موجود في

المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ق-32

<sup>3</sup> الفرق بين الفرق 320

<sup>4</sup> الدر المنثور 112,6

و. أن إسناد المجيء إليه في قوله تعالى: «وجاء ربك والملك صفا صفا» إسناد غير حقيقي، لأن عادة الاستعمال تلت على أن الآتي ملك جاء بأمر الله، بدلالة القرينة المنفصلة، قال ابن حزم: روي عن الإمام أحمد في قوله تعالى: «وجاء ربك» إنما معناه وجاء أمر ربك، كقوله تعالى: «هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك» والقرآن يفسر بعضه بعضاً، قال ابن تيمية: ويجوز باتفاق المسلمين أن يفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره، إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلاً وصرفاً من الظاهر، فذلك لدلالة القرآن عليه ولموافقة السنة والسلف عليه، لأنه تفسير للقرآن بالقرآن، ليس تفسيراً له بالرأي، والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله.<sup>2</sup>

فيكون تفسير الآية «وجاء ربك» تم به:

- 1- بالقرينة المنفصلة «أو يأتي أمر ربك».
- 2- بعادة الاستعمال الشرعي في أمثال هذه النصوص، التي يسند فيها ما تقوم به الملائكة لله سبحانه باعتباره الأمر.

ومجيء الملك من المكان الذي تلقى فيه الوحي والأمر الرباني.

ز. أن الظاهر الحرفي في أثر ابن مسعود الآتي، والمتعلق بيوم القيامة غير مقصود ((يتمنى الله عز وجل ذكره للخلق، فيلقاهم، فليس أحد من الخلق بعيد من دون الله شيئاً إلا هو مرتفع له يتبعه، فيلقى اليهود، فيقول ما تعبدون. فيقولون عزيز... ثم يلقى النصارى، فيقول ما تعبدون...))<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> تكملة السيف الصغير 137-138

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 21,6

<sup>3</sup> مجمع الزوائد 332,10 واعتراض الحافظ الهيثمي على هذا الأثر بأنه يخالف للحديث الصحيح في ترتيب الشفاء حيث جاء فيه ((أن أول شافع جبريل ثم إبراهيم. ثم نبيكم - صلى الله عليه وسلم - ثم محمد معلم لـ: -

إمكانية تأويل العبارة بأول من يتشفع به الخلق ويتجنون إليه ويطلبون منه الشفاعة: ويكون اسم الفاعل ((شافع)) بمعنى متشفع به، كقوله تعالى ((من ماء دافق)) أي مدفوق.

وفي حديث آخر عنه ((ويبقى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمته- فيتمثل الرب تبارك وتعالى فيأتيهم، فيقول: مالك لا تتطلقون كاتطلاق الناس، فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه، فيقولون: إن بيننا وبينه علامة، إذا رأيناها عرفناها. فيقول: ما هي؟ فيقول: يكشف عن ساقه، فيخر كل من كان نظره، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون...))<sup>1</sup> ففي هذين الحديثين<sup>2</sup> أسند التمثل والتقاء والقول لله باعتباره الأمر، والقائم والمباشر لها ملك بدلالة القرائن:

- فقله ((يلقى اليهود ويلقى النصاري)) قرينة لفظية تعبر عن أن الملاك ملك، لأن الكفار يوم القيامة محجوبون «كلا إنهم من ربهم يومئذ لمحجوبون»<sup>3</sup> «يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين»<sup>4</sup>. والقرآن قد كفر أهل الكتاب، الذين يقولون بالوهمية المسيح «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم»
- وقوله ((ويبقى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمته، فيتمثل الرب تبارك وتعالى، فيأتيهم، فيقول مالك لا تتطلقون...)) دليل على أن القائل ملك، لأن هذه الجملة ليست أول ما يقوله الله للمؤمنين، فمن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن شئتم أنباتكم بأول ما يقول الله عز وجل

<sup>1</sup> لو تأويلها بأول شافع للخلق عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لوضع لهم عند ربه، ويؤيد هذا التأويل ما جاء في الحديث الشريف ((... إذ جاني عيسى فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد بشكون. أو قال: يجتمعون إليك ويدعون الله عز وجل أن يفرق جمع الأمم إلى حيث يشاء الله... فيقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمعسى انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي الله -صلى الله عليه وسلم- حتى قام عند العرش... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مسند الإمام أحمد صحيح القتح- 124,24

<sup>2</sup> رواه الطبراني من طريق ورجاله أحدهما رجال رجال الصحيح غير الذالني وهو ثقة مجسم الزوائد 346-345,10

<sup>3</sup> الأثر الأول وإن كان موقوفًا على ابن مسعود فإنه في حكم المرفوع، لأن مثل هذا لا يقال بالرأي

<sup>4</sup> المطففين 15

<sup>5</sup> الفرقان 22

للمؤمنين، وبأول ما يقولون له، قالوا نعم. قال: إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم<sup>1</sup>.

ومن القرائن المنفصلة التي تلقى ضوءاً على حديث ابن مسعود وعلى الإسناد المجازي فيه حديثه ((ثم ينادي مناد: أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم، ورزقكم، وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، أن يولي كل أناس ما كانوا يعبدون... فينطلق كل إلى ما كانوا يعبدون))<sup>2</sup> فأسند القول للمنادي، وهذه الأحاديث الثلاث جميعاً رواها ابن مسعود، مما يدل على روايتها له بالمعنى، وعلى وضوح معنى المتشابه عنده.

ومن القرائن الصارفة عن المعنى الظاهري في الحديث قوله ((يكشف عن ساقه)) الذي يدل على أن المتكلم ملك؛ لأن عادة الاستعمال الشرعي في الأفعال التي تتعلق بتدبير الكون أن يستفاد أن يستفاد الله لنفسه باعتباره الأمر، بالرغم من أن القائم بها ملك «فالمندبرات أمراً»، أخرج ابن المنذر عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم - لجبريل ليلة الإسراء: ((اكشف عن النار فكشف عنها، فنظر إليها))<sup>3</sup> فدل على أن من وظائف جبريل - عليه السلام - الكشف وإيراز المشاند.

والساق - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - الكرب والشدة<sup>4</sup>، واقترب السجود به تطبيق لما اعتاده المسلمون في الدنيا من السجود، حين كانوا يرون العلامات المنذرة بنزول العيايا والمحن التي يخوف الله بها عباده ((إذا رأيت أية فاسجدوا))<sup>5</sup> وتفسير الساق هنا بأنها ساق الله يكشفها يوم الدين لا يصح. أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله: «يوم

<sup>1</sup> رواه الطبراني بسندين أحدهما حسن مع الزوائد 361، 10

<sup>2</sup> المرجع السابق 343، 10

<sup>3</sup> الدر المنثور 358-357، 6

<sup>4</sup> الدر المنثور 282، 6

<sup>5</sup> أبو داود مع لمون 62، 4 هذا التطبيق يوم الدين يحصل على حسب رواية قتادة بعد أن يؤذن لهم فيه  
الدر المنثور 283، 6

يكشف عن ساق) فغضب غضبا شديدا، وقال: إن أقولما يزعمون أن الله يكشف عن ساقه، وإنما يكشف عن الأمر الشديد<sup>1</sup>.

-

ومن القرائن اللفظية في الحديث قوله ((تمثل الرب)) الذي يدل على أن القائم به ملك بأمر الله، جاء في قصة جبريل مع مريم -عليها السلام- «فتمثل لها بشرا سويا»<sup>2</sup>

ج.

وبعد الاستئصال الشرعي في إسناد الأفعال التي تقوم بها الملائكة إلى الله باعتبار الأمر، ندرك أن الإسناد في الآية الآتية إسناد مجازي «مدبر الأمر من السماء إلى الأرض»<sup>3</sup> وأن القائم بالتدبير للملائكة، قال الله تعالى: «فالمدبرات أمرا»<sup>4</sup>.

### اعتراض ابن حجر

نقل ابن حجر في فتح الباري عن بعض العلماء استبعادهم أن يكون الصوت للملائكة في الحديث الشريف السابق الذي نقوم بدراسته ((يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) لسببين:

1.

السبب الأول أن قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الصوت: ((يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب)) إشارة إلى أن المحدث للصوت ليس من المخلوقات، لأنه لم يحدد مثل هذا فيهم.

2.

السبب الثاني أن الملائكة إذا سمعوا الصوت صمقوا، وإذا سمع بعضهم بعضا لم يصمقوا، وعليه فإن الصوت في الحديث صفة من صفات ذاته<sup>5</sup>...

ومضمون هذا الاعتراض أن الصوت الذي يحدث في الحشر، هو الذي يحدث إذا تكلم الله بالوحي، ومن آثار هذا الصوت كما جاء في الحديث صمق

<sup>1</sup> الدر 282,6

<sup>2</sup> مريم 16

<sup>3</sup> السجدة 4

<sup>4</sup> النازعات 5

<sup>5</sup> 234,17

الملائكة، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- ((إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان))، ولفظه عند ابن خزيمة وابن مردويه ((كمر السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صفعوا))<sup>1</sup>.

وهذا يدل على أن الصوت ليس صوت الملائكة، لأنه إذا سمع بعضهم بعضاً لم يصفعوا، وإنما هو الله الواحد القهار.

### الجواب عن السبب الأول

1. ليس شرط ما يحدث في الآخرة أن يكون حدث من قبل، وعهد مثله في القانمين به، فقد أخرج أبو داود والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي في البعث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم)).

قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم))<sup>2</sup>.

فالمشي على الوجوه لم يحدث للإيمان من قبل، ولم يعهد مثله، مع أنه سيكون وسيحدث، وكذلك أمر الصوت يحدث الله فيه ما يشاء (يزيد في الخلق ما يشاء)<sup>3</sup> وفي حديث الميت الذي يوضع على النعش ((يصيح صيحة لو سمعها النعلان لصفعوا)) مع أن صوته في الدنيا لا يؤدي ولا يمت.

2. أن الأحاديث التي سبق تحليلها يؤخذ منها أن الصوت للملائكة، فلا مجال للإعتراض، لا سيما وأن القائم بالمهمة يمكن أن يكون هذا أول عمل يكلف به.

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء 235-236

<sup>2</sup> قدر المنشور 224.4

<sup>3</sup> فاطر 1

نفي أن يكون صاحب الصوت في الحشر هو صاحب الصوت الذي يحدث حين يتكلم الله بالوحي السماء، ففي رواية أبي داود: ((سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا)).

وفي حديث النّوّاس بن سميان: ((إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماوات منه رجفة)) أو قال: ((رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا له سجدا))<sup>1</sup>.

أي أن الملائكة تصعق لسماع الرجفة التي تحدث في السماء، كما يصعق البشر حين يسمعون نفخ الصور، أو لو سمعوا صيحة الميت على النعش. وهذا يدل على أن الأصوات العنيفة تحدث الصعق في المخلوقات، سواء كان المصعوق من أهل السماء أو أهل الأرض.



<sup>1</sup> انظر فتح الباري 17، 233-234



## فتاوى الأئمة في الصوت والحرف

- قال الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إني الله كلم موسى عليه السلام - بلا جوارح، ولا أنوف، ولا حروف، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه عن تكيف الصفات<sup>1</sup>.
- قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه - في كتابه الفقه الأكبر: الله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حرف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق<sup>2</sup>.
- يقول الجنيد من أئمة التصوف -: جلت ذاته عن الحدود، وجلّ كلامه عن الحروف، فلا حد لذاته، ولا حروف لكلامه<sup>3</sup>.
- والشيخ الجنيد إمام هدي كما قال ابن تيمية<sup>4</sup>.
- قال الإمام الأسفراييني في معرض ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة: وأن تعلم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، لأن الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدم والتأخر، وذلك مستحيل على القديم سبحانه<sup>5</sup>.
- قال العلامة المحدث على القاري في شرح الفقه الأكبر: ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات، تقوم بذاته، وهو قديم... وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس للإحساس بتقدم الباء على السين في بسم الله ونحوه<sup>6</sup>.
- مثل سلطان العلماء العز بن عبد السلام والإمام المجتهد أبو عمرو عثمان بن الحاجب المالكي<sup>7</sup>، والإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي عن

<sup>1</sup> الإنصاف للبلائي 90

<sup>2</sup> الفقه الأكبر ص 51

<sup>3</sup> الإنصاف 90

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 491,5

<sup>5</sup> التيسير في الدين 102

<sup>6</sup> شرح الفقه الأكبر 29-30

<sup>7</sup> كلاهما ممن تتلمذ ولأخذ عن شيخ الصوفية أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم -

كلام الله القديم للقائم بذاته، هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القارئ وحروفه المقطعة، وعين الأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف؟ وهل يجوز أن يقال: إن كلام الله القديم للقائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الظاهر فيها، وأنه عين ما جعله الله معجزة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وما الذي يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغرّ به ضعفاء المسلمين؟ وهل يحل للعلماء المعتبرين إذا علموا أن ذلك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحق في ذلك، وإظهاره والرد على من أظهر ذلك، واعتقده؟ أفتونا مأجورين.

### جواب سلطان العلماء

القرآن كلام الله، صفة من صفاته، قديم بذاته، ليس بحروف ولا أصوات. ومن زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئ وكتابة الكاتبين فقد أهدى في الدين، وخالف إجماع المسلمين، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدين. ولا يحل للعلماء كتمان الحق، ولا ترك البدع سارية في المسلمين. ويجب على ولاية الأمور إعانة العلماء المنزهين الموحدين، وقمع المبتدعة المشبهين المجسمين.

ومن زعم أن المعجزة<sup>1</sup> قديمة فقد جهل حقيقتها. ولا يحل لولاية الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين، ويجب عليهم أن يلزمهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين، فإن لم يفعلوا أجنوا إلى ذلك بالحبس والضرب والتعزير.

كتبه عبدالعزيز بن عبدالسلام

### جواب الإمام ابن الحلي

من زعم أن أصوات القارئ، وحروفه المقطعة، والأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف هي نفس كلام الله تعالى القديم، فقد ارتكب بدعة عظيمة، وخالف الضرورة، وسقطت مكانته في المناظرة فيه.

<sup>1</sup> أي آيات القرآن

ولا يستقيم أن يقال: إن كلام الله تعالى القديم انقائم به، هو - أي جعله الله معجزة لربوله - صلى الله عليه وسلم - فإن ذلك يعلم بأننى بضر. وإذا شاع ذلك، أو سئل عنه النعم، وجب عليهم بيان الحق فى ذلك وإظهاره. ويجب على من له الأمر وفقه الله - أخذ من يعتقد ذلك، ويغر به ضعفاء المسلمين، وزجره، وتأنيبه، وحجبه عن مخالطة من يخاف منه إضلاله، إلى أن يظهر ثوبته عن اعتقاد مثل هذه الخرافات التى تأباه العقول السليمة. والله أعلم

كتب عثمان بن أبى بكر الحاجب

ومعلوم أن كلا الإمامين العز وابن الحاجب ممن تتلمذ على يد شيخ الصوفية أبى الحسن الشاذلى.

### جواب الإسلام السخاوى:

كلام الله عز وجل قديم، صفة من صفاته، ليس بمخلوق، وأصوات القراء وحروف المصاحف أمر خاج عن ذلك... والصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة [أي القرآن المتلو] لأن المعجزة ما تحدى به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطالب الإتيان بمثله، ومعلوم أنه لم يتحدهم بصفة البارى القديمة، ولا طالبهم بالإتيان بمثها. ومن اعتقد ذلك، وصرح به، أو دعا إليه، فهو ضال مبتدع، بل خسار ج عما عليه العقلاء إلى تخليط المجانين، والواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها وتبيين الحق. والله أعلم

على السخاوى<sup>1</sup>

- وسئل علماء مصر عن فتنة الحشوية المعروفة بفتنة ابن مرزوق وابن الكيزانى فى النصف الأخير من القرن السادس بمصر.

<sup>1</sup> تكملة السيف 46 - 8

### وصورة الاستفتاء:

ما قولكم في الحشوية على مذهب ابن مرزوق وابن الكيزاني اللذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحروف وصوت، تعالى الله عن ذلك، وأن أفعال العباد قديمة، هل تنفذ أحكامهم على أهل للتوحيد وعامة المسلمين؟ وهل تقبل شهادتهم على المسلمين أم لا؟

### الإجابة

جواب الإمام شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطومسي الشافعي:  
تقبل شهادة عدو لهم على أصحابهم، ولا تسمع شهادتهم على أهل الحق من الموحدين، ولا ينفذ حكم قاضيههم على الموحدين، فإنهم أعداء الحق.  
والله أعلم

كتبه محمد الطومسي

### جواب الإمام يوسف الأرموي

ما نص عليهم أعلاه اقترفوا حوبة عظيمة، يجب عليهم القبول عما اعتقدوه.  
كتبه يوسف الأرموي

### جواب الإمام أبي منصور ظاهر الحسين الأزدى المالكي

لا تقبل شهادة من يقول إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت، لأنهم مرتكبون كبيرة، هي أعظم من سائر المعاصي كالزنا وشرب الخمر، لأنها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين.

كتب ظاهر بن حسين الأزدى

### وجواب شارح المذهب أبي إسحاق إبراهيم العراقي:

جوابي كذلك.

كتبه إبراهيم العراقي

### جواب الخطيب محمد بن إبراهيم الحموي:

من قال إن الله متكلم بحرف وصوت، فقد قال قولا يلزم منه أن الله جسم. ومن قال إنه جسم فقد قال بحدوثه، ومن قال بحدوثه فقد كفر، والكافر لا تصح ولا تقبل شهادته.  
والله أعلم

كتبه محمد بن إبراهيم الحموي<sup>1</sup>

وهناك فتاوى أخرى كثيرة للأئمة الأجلاء يؤكدون فيه تنزه الله عن الحرف والصوت.



<sup>1</sup> هذه الاجابات وقعت لسمع قس المشوية في النصف الأول من القرن السابع الهجري. وهي مدونة في  
تجمل المتهدى ورجل الممدى للفر بن المعلم القرشي. تكلمة السيف الصقيل 49-51

## مبحث الاستواء

### عقيدة ابن تيمية

- يؤمن ابن تيمية بأن الله جالس على العرش بذاته، جلوساً دائماً لا يزول . جاء في فتاويه: حدث العلماء المرضييون وأولياؤه المقربون أن محمداً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجلسه ربه على العرش معه<sup>1</sup>. وقال في كتابه، "حديث النزول": والقول الثالث وهو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها؛ أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه<sup>2</sup>... وأن استواءه على العرش بذاته<sup>3</sup>.
- والمقصود بالاستواء الجلوس والإستقرار<sup>4</sup>، وهذا المقصود هو الذي يفهمه العامة حين يسمعون لفظ الاستواء، قال يزيد بن هارون الوسطي: إن من قال الرحمن على العرش استوى خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي<sup>5</sup>.
- ويصرح بأن هذه العقيدة قد تضاهرت النصوص الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية على إثباتها:
- قال الله تعالى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 374،4

<sup>2</sup> ص 66

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى 182،5

<sup>4</sup> كما قال تعالى «لنستوي على ظهوره»

<sup>5</sup> مجموع الفتاوى 148،5

<sup>6</sup> الأعراف 53

- قال الله تعالى: «تخرج الملائكة والروح إليه»<sup>1</sup>.
- قال الله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»<sup>2</sup>.
- قال الله تعالى: «إني متوفيك ورافعتك إلي»<sup>3</sup>.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ((يخرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم - هو أعلم بهم-))<sup>4</sup>.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل))<sup>5</sup>.
- وأحاديث المعراج تؤكد هذه العقيدة وتدل عليها.

### التقويم

#### للنصوص القرآنية المتعلقة بالاستواء .

ظاهر السياق في النصوص القرآنية المتعلقة بالاستواء يدل على عدم صلاحية تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار .

والسياق إحدى الوسائل التي تكون سببا في ظهور المعنى، يقول ابن تيمية في الفتاوى الدمشقية: ظهور المعنى يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي ... أو سياق الكلام الذي يعين أحد احتمالات اللفظ، أو يبين أن المراد به هو مجازة<sup>6</sup> .

- ومعنى السياق أن تنظر إلى ما قبل الآية وإلى ما بعدها، أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن ابن حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن

<sup>1</sup> المعارج 4

<sup>2</sup> فاطر 10

<sup>3</sup> آل عمران 54

<sup>4</sup> انظر مسند الإمام أحمد - الفتح - 19، 20 - 20

<sup>5</sup> مسلم ، مجموع الفتاوى 61، 5

<sup>6</sup> شرح توتية ابن القيم 131

ابن عباس في تفسير قوله تعالى: «وسع كرسيه السموات والأرض»<sup>1</sup> قال: كرسيه علمه، ألا ترى إلى قوله: «ولا يؤده حفظهما»<sup>2</sup>، فحدد معنى الكرسي، واستعان في تحديده بالجملة التي بعده.

وسئل علي بن المديني عن المعية في قوله تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا»<sup>3</sup>.

فقال: اقرأ ما قبله «ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض»<sup>4</sup> فحدد معنى المعية بأنها معية علم مستعانة بالجملة التي قبلها .

تطبيقات هذه القاعدة على النص الكريم

### المثال الأول

قال الله تعالى: «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يفتي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»<sup>5</sup>

هذا النص ورد بعد نص التكذيب ليوم القيامة «فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ...» يؤكد قدرة الله على البعث والإحياء وكمال علمه، ويذكر الدلائل الدالة على ذلك:

الجملة «خلق السموات والأرض» التي وقعت قبل النص المدروس، ثم استوى على العرش» تدل على قدرة الله التي لا يعجزها شيء، وعلى كمال علمه وإبداعه.

<sup>1</sup> البقرة 253

<sup>2</sup> قدر المنثور 337، 1

<sup>3</sup> المجادلة 7

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 5 / 140

<sup>5</sup> الأعراف 53



- وجملة «يفشى الليل والنهار» «والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» التى وقعت بعد النص المدروس تدل كل واحدة منهما على ما تدل عليه الآية الأولى.

وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تكون دلالة جملة «ثم استوى على العرش» على ما تدل عليه باقى الجمل، وهو كمال القدرة والعلم، لأنها لو لم تدل عليه، وفسرت بالجلوس والاستقرار، لكانت كلاماً أجنبياً وقفاً فى غير محله، مبتوراً عما قبله وعما بعده، لعدم دلالة على القدرة، وإيحائه بالعجز والإعياء.<sup>1</sup>

### المثال الثانى

قال الله تعالى: «سبح لله ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها»<sup>2</sup>

ظاهر السياق فى هذه الآيات يدل على عدم صلاحية تفسير الاستواء بالجلوس والاستقرار، لأن كل جملة فى النص جاءت فى معرض البيان والتعليل لاتجاه الكون كله لله سبحانه وتعالى: تسبيحاً، وتمجيذاً، وتعبداً:

- فجملة «وهو العزيز الحكيم» التى تعبر عن أنه القوي الذى لا يغلب، صاحب العلم الذى لا يخطئ - سبب من أسباب اتجاه من فى الكون لله، لأن العزيز الحكيم ملجأ للمستضعفين، وأمل للمقهورين.

- وجملة «له ملك السماوات والأرض يحيى ويميت» تؤذن بما تؤذن به الجملة الأولى، لأن الخضوع سببه الرجاء فى فضله أو الخوف من عقابه، وملكه

<sup>1</sup> انظر تفسير الرانزى 228، 4

<sup>2</sup> الحديد 1-4

للخزائن والإحياء، يعبر عن الرجاء فيه، وانفراده بالاعدام والإماته يدل على الخوف منه.

- وجملة «هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام» تدل على ما تدل عليه الجملة الأولى والثانية من التعليل بانفراده تعالى بصفة الإلهية وصفة الاتجاه إليه والخضوع<sup>1</sup>.

ولو فسرنا الاستواء في قوله «لم استوى على العرش» بالجلوس والاستقرار لكان تفسيراً غير مناسب للمسياق، لأن الجلوس لا يعتبر سبباً من أسباب إفراد الله بصفة الخضوع، ولا هو من الدوافع التي تدفع من في الكون إلى الاتجاه إلى الله، فالمسألة سيان بين أن يكون الإله جالسا أو غير جالس. فظهر أن تفسير الاستواء بالجلوس لا يناسب السياق، والسياق كما سبق - إحدى الوسائل التي تكون سبباً في ظهور المعنى.

وهذا ما دفع الأشاعرة بما فهمه العارفون من الصوفية المتقين إلى عدم الإيمان بوجود مكان له سبحانه، لعدم ما يدل عليه. وإلى تأويل هذه الآية أو التسليم وعدم الخوض فيها.

وهم في تأويلهم مستندون لظاهر السياق، وإلى تفسيرات السلف الصالح:

- قال جابر بن زيد: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»؟

فقال: ارتفع ذكره وتنازه على خلقه، لا على ما قال المنددون أن له أشياها وأندادا، تعالى الله عن ذلك.

- وعن مجاهد عن عبدالله بن عمر أنه سئل عن الصخرة التي كانت في بيت المقدس، فقال له: إن ناسا يقولون، فنذكر قولهم سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا - فارتد ابن عمر: فرقا وشفقا حين وصفوه بالحدود والانتقال، فقال ابن عمر: إن الله أعظم وأجل أن يوصف بصفات المخلوقين، هذا كلام اليهود

<sup>1</sup> انظر تفسير التحرير والتطوير 362-356

أعداء الله، إنما يقول: «الرحمن على العرش استوى» أي استوى أمره وقدرته فوق بريته.

- وقال الحسن البصري: قوله «ثم استوى على العرش» يعني استوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه، ولا يوصف الله بصفات الخلق، ولا يقع عليه الوصف كما يقع على الخلق.

- قال الربيع بن حبيب: بلغني عن ابن مسعود والضحاك بن مزاحم أنهما قالَا: «استوى على العرش» استولى<sup>1</sup> عليه وعلى الأشياء كلها، فخضعت ودانت، وقد تقول العرب: استوت فلان دنياه، أي أتته دنياه على ما يريد، واستوى بشر على العراق والحجاز، واستوى لنا الأمر، واستوى فلان على مال فلان، يريدون أنه احتوى عليه وحازه ونحو ذلك... وجوابنا في قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» ما قلّه عبدالله ابن عباس، وابن عمر، والحسن، ومجاهد أنه ارتفع ذكره وتلوه ومجده وعظمته.

تعالى عما قال المنددون أن له أندادا وأشباهها، تعالى الله عن ذلك.

وأن ابن عمر في حديث الصخرة ارتعد فرقا وشفقا حين وصف الله بالزوال والانتقال، وقال: هذا كلام اليهود أعداء الله... قالوا: إنه لما فرغ من خلق السموات والأرض، استوى على العرش، ووضع إحدى فخديه على الأخرى، واستراح، فكنبهم الله بقوله «وما منا من لغوب» ويقول «ليس كمثله شيء»<sup>2</sup> ويلاحظ في تفسيرات السلف لهذا النص «ثم استوى على العرش»:-

1. أنها تدور حول كمال القدرة والعلم، فارْتَفَاعَ الذكر سببه كمال القدرة والتصرف، واتساع العلم والإحاطة.

2. أن العرب تعرف الاستواء بمعنى الاستيلاء، وتسلم بأن الاستيلاء على الأشياء قد يحدث بدون مقابلة، فقولهم «استوى فلان على مال فلان» يدل عندهم على الاحتواء والحيازة، والاحتواء والحيازة قد يحدثان بلا منازعة، ويرى ابن

<sup>1</sup> ميثاق توجيه هذا المعنى

<sup>2</sup> مسند الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب بن عمر الأزدى البصري أحد التابعين 36,3 39-40

نقلا عن كتاب ابن تيمية ليس ملحقا للشيخ منصور عويش.

تيمية أن معنى الاحتواء هو الاستيلاء، وأنه -أي الاحتواء- يجوز وصف الله به، يقول في فتاويه مطلقاً ومسلماً بقول ابن أبي زيد القيرواني في رسالته 'على العرش استوى وعلى الملك احتوى': 'ففرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين'.<sup>1</sup>

يعنى بقوله هذا، أن الفعل الأول 'استوى' يدل على غير ما يدل عليه الفعل الثاني 'احتوى' فالفعل الأول يدل عنده على الاستواء الظاهر على العرش -أي الجلوس عليه- والفعل الثاني يدل على الاستيلاء على الملك، فيصير معنى الجملة الثانية: استولى الله على الملك.

وتحليله هذا يؤدي به إلى مناقضة نفسه، لأنه قال قبل قوله هذا بثلاث وأربعين صفحة: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه في حال، فاستمع أن يكون بمعنى استولى.<sup>2</sup>

وما منعه ابن تيمية لا يمتنع، لأننا عرفنا من قبل حين تتبعنا أسلوب التعبير القرآني، وعادته في الاستعمال أن أفعال التدبير في الكون -والاستواء منها- تقوم بها وتباشرها الملائكة والأرواح العلوية (فالمديرات أمراء) والملك حسين يتعامل مع الأشياء قد يواجه بالمقاومة وعدم الانقياد، وقصة سيدنا موسى عليه السلام -مع ملك الموت حين لطمه على عينيه فأخسرها غيـر بعيدة عنا<sup>3</sup>. وقصة الأرض مع عزرائيل كذلك، حين كلف بتجميع التراب الذي سيخلق منه آدم، فاستعادت بالله، فأخذه قهراً عنها.

3. أن السلف الصالح يقصد بالعلو علو الصفة لا علو الذات، ولهذا فما ورد سابقاً عن مجاهد أن الله علا بقدرته، يفسر ما ورد عنه مطلقاً في البخاري في تفسير قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) بأن معناه علا.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 189,5

<sup>2</sup> المرجع السابق والجز 146

<sup>3</sup> مسند الامام أحمد -الفتح- 103,20

وتفسير العلو بعلو القدرة لا الذات الذي نقله الإمام الربيع هو الذي قال به ابن جرير الطبري، الذي يسم له ابن تيمية بكل ما في تفسيره:  
قال ابن جرير: فكذلك قل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال<sup>1</sup>.

وقال في تفسير قوله تعالى: «وهو العلي العظيم»: يعني والله العلي، والعلو الفعيل، من قولك علا يعلو علوا، إذا ارتفع، فهو عال، وعلي، والعلو ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته<sup>2</sup>.

وتفسير العلو بالعلو المعنوي لا الحسي هو الذي يليق بجلال الله له:

أ. أنه لا شأن ولا شرف في علو المكان، إنما الشأن في علو القدر، فكم من خادم وحارس يكون جالسا على السطح لتأدية بعض مأموراته، وسيده جالس تحته في الأسفل على عرشه، «وله المثل الأعلى في السماوات والأرض» والأعلى هنا هو العلو المعنوي.

ب. أن العلو المعنوي -كمال القدرة- يدل على الانفراد وللتزهد عن الأنداد، بخلاف العلو الحسي، فتشاركه فيه بعض المخلوقات، وهو اللوح المحفوظ على ما جاء في الحديث الشريف ((لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده، غلبت أو قال: سبقت رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش))<sup>3</sup>.

وهذا الحديث يدل كما قال ابن حجر - على أن اللوح المحفوظ فوق العرش<sup>4</sup>، ولا يصح تأويل كلمة "فوق" الواردة في الحديث بأن المقصود بها "تحت" لما جاء في رواية ابن حبان وهو مرفوع فوق العرش" التي صرححت ببالرفع، وكذلك رواية النسائي. فهو عنده على العرش<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> تفسير ابن جرير 192.1

<sup>2</sup> المرجع السابق 9.3

<sup>3</sup> البخاري -فتح- 310.17

<sup>4</sup> فتح الباري 310.17

<sup>5</sup> العقيدة السنية للمحدث الهروي 202

ج- أن العلو المعنوي يدل على اقتصاص الله بصفة العلو أزلاً، بخلاف العلو الحسي -علو ذاته على العرش- فيعبر عن أنه لم يكن موصوفاً بهذا الوصف قبل أن يخلق العرش، لعدم وجود مكان في الأزل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كان الله ولم يكن شيء غيره))<sup>1</sup>

وقد أجمع السلف على أن صفات الله قديمة غير محدثة

وبناء على ما سبق نستطيع أن نقول إن لفظ العلو لا يقتضى علو الذات على العرش، يقول ابن تيمية: فإن كان لفظ العلو لا يقتضى علو ذاته فوق العرش، لم يلزم أن يكون على العرش، وحينئذ فلفظ النزول ونحوه يتأول قطعاً، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول<sup>2</sup>.

### مقارنة بين تحليل ابن تيمية للنص<sup>3</sup> وتحليل الأشاعرة

1. تفسير الأشاعرة الذي يراعي السياق، يتناسب مع الحصر القرآني للمتشابه<sup>4</sup> «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»<sup>5</sup>

لاحتياجه إلى النظرة الكلية للنص، وتوقفه على فهم العلاقات بين الجمل . بينما تفسير ابن تيمية يخالف هذا الحصر، لتمكن العامة من تأويله، بسبب عدم احتياج التأويل فيه إلا إلى النظر الجزئي والمعنى الحرفي لكلمة استوى، الذي يحدده أي قاموس مدرسي .

2. تفسير ابن تيمية فيه تفريق للجمل، وتضييع للوحدة الكلية للنص، لاقتصاره في التحليل على دراسة جملة واحدة منه ((ثم استوى على العرش)) والإعراض عما سواها.

<sup>1</sup> الحديث في البخاري وقد تقدم ذكره، ونكر الرد على ابن تيمية في تأويله، فراجع في مبحث الصوت.

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 579,5

<sup>3</sup> أي نص آية الاستواء

<sup>4</sup> قال الإمام الشافعي : هذه الآية (ثم استوى على العرش) من التشبيه . الله الأكبر ص 17

<sup>5</sup> آل عمران 7

بينما تفسير الأشاعرة يستوجب الالتفات عند التحليل إلى أول الكلام وأخيره، وما اقتضاه الحال، لا ينظر الباحث في أوله دون آخره، ولا في آخره دون أوله، حتى يتبين له المراد، يقول ابن تيمية: التأويل المقبول هو ما دل على مراد المتكلم<sup>1</sup>.

3. تحليل ابن تيمية ينبهنا إلى القصور في المنهج الذي اتبعه هو وأتباعه الأقدمون، الذين جمعوا هذه النصوص مبتورة من سياقها في كتب وفتاوى للإيهاء بأن المقصود بها الحقيقة والظاهر.

يقول الإمام الغزالي -من الأشاعرة- في كتابه 'إلجام العوام عن علم الكلام' عن النص المتشابه: لا يفرق بين مجتمعه، فإن كل كلمة سابقة على كلمة أو لاحقة لها مؤثرة في تفهيم معناه مطلقاً<sup>2</sup>.

4. عمق التحليل عند الأشاعرة يدلنا على صحة تفسيرهم لمصطلح التأويل بأنه صرف للفظ عن ظاهره الحرفي المعروف عند الناس، بينما النتيجة غير الصحيحة لتحليل ابن تيمية للنص المدروس، تدلنا على عدم صحة تفسيره لهذا المصطلح بأنه الأخذ بالظاهر الحرفي الذي يفهمه العامة من اللفظ.

5. تفسير الأشاعرة الناتج عن النظرة الكلية والتدبر في النص، يفتح الباب لاتجاهين في تحليل نص 'ثم استوى على العرش':

أ. الاتجاه الأول يقتصر على الفهم العام للجملة، وهي أنها تدل على كمال القدرة والعلم بدون تحديد بدلالة خاصة للجملة. أي بدون تأويلها بأنها تدل على صفة الملك، أو أنها تعبر عن الاستيلاء أو غيره.

وهذا الاختصار يدخل في دائرة التفويض -أي تفويض المعنى الخاص المقصود من الجملة إلى الله-

والتفويض الذي لا يحدد معنى الجملة الخاص، ويقتصر على الفهم العام لا يعارض التكبير<sup>3</sup>، بل هو ناتج من نتائجه، لأنه مأخوذ من دراسة السياق،

<sup>1</sup> درء التعارض 1، 201.

<sup>2</sup> ص 76.

<sup>3</sup> أي عند قراءة النص لآدمي فغلا يتكبرون آثران<sup>4</sup>

والتأمل فيه، مقرونا بخشية الله من الاتحاد في أسمائه وصفاته، بأن يدخل فيها ما ليس منها، أو يضيف إليها ما هو خارج عنها "لأن ما يتعلق بالله وصفاته شيء وراء العقل، لا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا بأن يقبس الله على نفسه، وذلك خطأ كبير"<sup>1</sup> ومخالفة صريحة لقوله تعالى: «ليس كمثله شيء»

ب.

تحديد المعنى الخاص لجملة "استوى على العرش" استعانة بالجميل التي بعد النص في آية الأعراف «يفشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره» التي تتحدث عن الأمر الإلهي للكون والقهر له، والأمر والقهر من لوازم الملك، فيكون المقصود بجملة «ثم استوى على العرش» صفة الملك على سبيل الاستعارة التمثيلية والمجاز المركب<sup>2</sup>. قال الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر<sup>3</sup>

وسواء قلنا بالاتجاه الأول أو الثاني، فالمعنى العام المفهوم من الجملة معلوم عند الجميع، وهو الصرف عن الظاهر الحرفي للفظ «استوى» والتعبير به عن كمال القدرة.

ولهذا لما سئل الإمام مالك عن قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول<sup>4</sup>.

أي معنى الاستواء في الآية معلوم عند أهل اللسان الفاهمين لأسرار العربية، وابن تيمية يفسر قول الإمام بأن المقصود منه الجلوس، لأنه المعنى المعلوم عند العامة.

<sup>1</sup> ضحى الإسلام 153

<sup>2</sup> المجاز المركب اللفظ فيه باقية على معانيها اللغوية، والتجاوز حاصل في معنى الهيئة التركيبية لا في مفرداتها، كتذكرك للتردد: "أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى" وإن لم يحدث منه التقديم والتأخير للرجل، وجاء في الصباح: "غير: واستوى على سرير الملك" كناية عن التملك وإن لم يملك. مادة سوى

<sup>3</sup> البحر المحيط 291

<sup>4</sup> نطق الإشارات إلى معنى الأسماء والصفات للأصمعي 311



وتنميره ينزل بالإمام إلى مستوى العلامة الذين لا يتركون دلالات السياق .  
ويمكن أن يكون المقصود بقول الإمام " والاستواء معلوم " أي معلوم معناه عند  
السلف، والمسلم - كما سبق - يفسرونه بما يدل على كمال القدرة والعلم والقدرة  
النشأ، لا على الجلوس والاستقرار الذي قد يوحي بالعجز والإعياء .

وتمام جواب الإمام مالك " والكيف غير معقول " أي كيف صفة الملك أو الله  
أو غيرها غير معقول، لأن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، والصفات  
الإلهية لا كيف لها. ولهذا جاء في بعض الروايات عن الإمام، " ولا يقال كيف  
وكيف عنه مرفوع " <sup>1</sup>، قال سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين  
سأله اليهود عن كيفية الله : ... بل هو بلا كيف <sup>2</sup> .

فالذات والصفة الإلهية ليس لها كيف أصلاً، خلاف ما يقول ابن تيمية من أن  
الإستواء صفة الذات، وكيفيته مجهولة، تعالى الله عما يقول:  
قال الصحابي الجليل - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه : سبحانه وتعالى  
عن تكيف الصفات <sup>3</sup>.

قال الحافظ ابن الجوزي - رضي الله عنه - في كتابه دفع شبه التشبيه  
ص 41-55: وأما ما نسب إلى الثوري، ومالك، وابن عيينة، والحماد، وأحمد،  
وإسحاق، وغيرهم من أنهم متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، فهو على  
فرض ثبوته عنهم، لا يستلزم أن الله مكاناً، تعالى الله عن ذلك، فإن معناه أنه  
تعالى عالي الرتبة والمكانة، مستحق ذلك بذاته لا بغيره؛ من كثرة الأموال  
والجنود كنفوقية المخلوقات، وما قاله الحافظ متوافق مع تأويلات ابن عباس  
ومجاهد والحسن وغيرهم التي سبق ذكرها.

6. تأويل ابن تيمية بأن الله لا يزال على العرش، ولا يخلو منه العرش، يتعارض  
مع منهجه في التأويل الذي يدعو إلى الأخذ بالظاهر، جاء في الحديث الشريف

<sup>1</sup> المرجع السابق والصفحة

<sup>2</sup> حلية الأولياء 72، 1

<sup>3</sup> المرجع السابق

الذي يتحدث عن آخر أيام الدنيا بعد موت الملائكة : "وأصبح ربك عز وجل يطيف في الأرض، وخلت عليه البلاد"<sup>1</sup> الذي يدل على حسب منهج ابن تيمية على وجود الله في الأرض وعلى خلو العرش منه. فهو بين خيارين : إما أن يضل على عقيدته بأنه لا يخلو منه العرش فيتعارض مع الحديث الشريف، أو يؤوله فيتعارض مع منهجه .

7. تفسير ابن تيمية للاستواء بالاستقرار والجلوس يخالف به معتقدات السلف الصالح الذين يؤمنون بأنه ليس على مكان:

- قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان .

- قال جعفر الصادق : من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً<sup>2</sup> .

- قال الإمام أبو حنيفة: نقر بأن الله تعالى على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه<sup>3</sup>.

- قال الإمام الشافعي في كتابه الفقه الأكبر: اعلمو أن الباري لا مكان له، والدليل عليه، هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلق المكان، لا يجوز عليه التغيير في ذاته والتبديل في صفاته، ولأن ماله مكان، وله تحت، متناهي الذات محدود، والمحدود مخلوق، تعالى الله عن ذلك<sup>4</sup>.

- قال الإمام الحافظ ابن العربي: والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش، فلم يتعين بها، ولا حدث

<sup>1</sup> رواه عبد الله والطبراني بنحوه، وأحد طريقتي عبد الله إسناداً متصل ورجالها ثقات مجمع الزوائد

341-343، 1

<sup>2</sup> الرسالة القشيرية 6

<sup>3</sup> هذه عقيدة السلف 22-23

<sup>4</sup> من 17

له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فإنه لا يحول ولا يزول، وقدوس لا يتغير ولا يستحيل<sup>1</sup>.

- قال الإمام أبو منصور، المحدث للفقهاء الذي وصفه ابن حجر بأنه الإمام الكبير، إمام أصحابنا الشافعية: وأجمع أصحابنا على إحالة القول بأنه في مكان، أو في كل مكان<sup>2</sup>.

- قال الإمام القرطبي من أئمة المالكية- في كتابه للتكاثر ص208: ورد الإمام مالك بن أنس -رضي الله عنه- على القائلين بالجهة مبسوط في العواصم عن العواصم لابن العربي .

- وجاء في كتاب المنهاج القويم شرح ابن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرية ص224 : واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة- رضي الله عنهم - القول بكفر القائلين بالجهة .

وقد ذكر المحدث المشهور ملا علي القاري أن السلف والخلف اتفقوا على أن من اعتقد أن الله في جهة فهو كافراً، كما صرح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني<sup>3</sup>.

- قال الإمام القرطبي في تفسيره: ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء، لأن السماء مهبط الوحي، ومنزلة القطر، محل القدس<sup>4</sup>... كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أوله قبل خلق المكان والزمان، ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان<sup>5</sup> وكلامه -رضي الله عنه- هنا صريح في نفي الجهة والمكان عن الله، وفي تأويل الفوقية والعلو بأنه علو العظمة وكمال القدرة، ولهذا فما ورد عنه في

<sup>1</sup> المأروضة 232,2

<sup>2</sup> المعقودة المطاوعة- الهرري-171

<sup>3</sup> نقلاً عن كتاب الوهابية في المراء ص9

<sup>4</sup> شرح المشكاة 300,3

<sup>5</sup> الجامع لأحكام القرآن 216,18

تفسير سورة الأعراف بأن الله نطق في كتابه بإثبات الجهة فسبق قلّم، لأنه لم يرد لفظ الجهة في كتاب الله، ولا ثبت في عبارات السلف . وما ثبت عنه وعنهم هو إثبات لفظ الفوقية، والفوقية عنده وعندهم فوقية معنوية كما سبق .

قال العلامة المحدث الكوثري : لم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله، ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة، واتحدى من يدعي خلاف ذلك، أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح، فلن يجد إلى ذلك سبيلاً، فضلاً عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأمانيد صحيحة<sup>1</sup>.



<sup>1</sup> تكلمة للسيف المسلول 115-116

## الدليل الثاني

من الأدلة التي استدل بها ابن تيمية على أن الله على العرش قوله تعالى: «أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير»<sup>1</sup>

### التقويم

(1) هذا النص مساو للحديث الشريف ((أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))<sup>2</sup> في التعبير والدلالة على المتحدث عنه.

ففي التعبير عبر كل منهما بلفظ "في" التي تدل على الظرفية.

وفي الدلالة دل كل منهما على المتحدث عنه بواسطة "من" الموصولة الموضوعة للعاقل. وعلى مكان وجوده وهو السماء فعبارة "من في السماء" في الآية والحديث متحدة في التعبير والمضمون.

وقد جاء بيان الشخص المتحدث عنه، المعبر عنه "بمن" في حديث ((يرحمكم من في السماء)) فيما رواه أحمد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الراحمون يرحمهم الرحيم، أرحموا أهل الأرض، يرحمكم أهل السماء))<sup>3</sup> أي الملائكة بالدعاء والاستغفار والشفاعة والنجدة والإنقاذ.

ولما كان التعبير في الآية والحديث متحدا -كما سبق بيانه- كان هذا دليلا على أن المقصود "بمن في السماء" في الآية الكريمة هم الملائكة أو الأرواح العلوية، يخوف الله بهما عباده العاصين:

أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة عن ابن سابط -رضي الله عنه-: وكل جبريل -عليه السلام- بالهلاك، إذا أراد أن يهلك قوما كان صاحب ذلك، وكل أيضا بالنصر في الحروب، إذا أراد الله أن ينصر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الملك 16-17

<sup>2</sup> حديث صحيح الجامع الصغير -المنهاوي- 141،1

<sup>3</sup> مسند الإمام أحمد 160،2

<sup>4</sup> الدر المنثور 15،6

• وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن الضحاك قال: الروح... أعظم الملائكة، لو فتح فاه لوسع جميع الملائكة، والخلق إليه ينظرون، فمن مخافته لا يرفعون طرفهم إلى من فوقهم<sup>1</sup>، قال الله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم» أي يخافون جنده وعبدته الذي هو فوقهم، وأسند الله لنفسه الخوف باعتباره الخالق والمعد والمكلف له.

• وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله «فطمسنا أعينهم»<sup>2</sup> قال: ذكر لنا أن جبريل استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطاً، وأنهم عاجلوا الباب ليدخلوا عليهم، فصعقهم بجناحه، فتركهم عياناً يترددون.<sup>3</sup>

• وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حنيفة بن اليمان في قصة هلاك لوط «فاستأذن جبريل - عليه السلام - في هلاكهم، فأذن له، فاحتمل الأرض التي كانوا عليها، وأهوى بها ... ثم قلبها بهم»<sup>4</sup> ويمكن جبريل والروح في السماء.

(2) علمنا من قبل حين نتبعنا أسلوب التعبير القرآني، أن مباشرة الأفعال في تدبير هذا الكون قولاً وعطاءً وأخذاً وعذاباً وانتقاماً موكولة إلى الملائكة الكرام «فالمصدرات أمراً»<sup>5</sup> والخسف والارسال منها، وظاهر الآية يتكلم عن المباشرة للفعل «يخسف يرسل» وهو ما تدل عليه قاعدة ابن تيمية في تأويل النصوص التي تقول: إن الأفعال التي جاءت بصيغة الجمع تدل على الله باعتباره الأمر، وتدل على الملائكة باعتبارها المباشرة للفعل<sup>6</sup> «وأما طرنا عليهم حجارة من سجيل»<sup>7</sup> وقد أثبتنا من قبل أن هذه القاعدة لا تختص بصيغ الجمع.

<sup>1</sup> الدر المنثور 344,6

<sup>2</sup> القمر

<sup>3</sup> الدر المنثور في التفسير بالمأثور 151,6

<sup>4</sup> الدر المنثور 373,3

<sup>5</sup> التلاعات 5

<sup>6</sup> نهج

<sup>7</sup> القمر 74

(3) مما يدل على أن المقصود بمن في السماء في الآية الأولى<sup>1</sup> هم الملائكة، أن الآية الثانية<sup>2</sup> المقارنة لها والمساوية لها في التعبير «من في السماء» تتحدث عن الملائكة، فهم المكلفون بمهمة إرسال الحاصب والحجارة، قال تعالى في قصة إبراهيم - عليه السلام - مع الملائكة: «قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين»<sup>3</sup>

وخلاصة القول أن القرائن المنفصلة في الآية واللفظية فيها، وعادة الاستعمال يدلان على أن المقصود بمن في السماء هم الملائكة.



<sup>1</sup> أي قوله «الذين هم في السماء لن يمسسكم بكم الأرض فإذا هم تمور»

<sup>2</sup> أي قوله «لم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصب»

<sup>3</sup> الذاريات 33-31

## الدليل الثالث

قوله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثالث الأخير من الليل)).

يدل هذا الحديث الشريف عند ابن تيمية على أن الله فوق عرشه، ينزل في آخر الليل، يخاطب عباده المؤمنين، لأنه إذا لم يكن فوق عرشه الأعلى، فمن أين يكون النزول .

### التقويم

1. تقدم في مبحث الاستواء أن لفظ العلو في النصوص الدينية، لا يقتضي علو الذات الإلهية على العرش، وإذا لم يكن يقتضيه -كما قال ابن تيمية- لم يلزم أن يكون على العرش، وحينئذ فلفظ النزول ونحوه يتأول قطعاً، إذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول<sup>1</sup>.
2. اعتمد ابن تيمية في تحليله للحديث على مجرد الإسناد في الجملة ((ينزل ربنا)) بدون بحث في عادة الاستعمال الشرعي في التعبير في أمثال هذه النصوص، التي تدل على أن المباشر للفعل هم الملائكة، وأسند الله الفعل لنفسه باعتباره الأمر. وقد تقدم بيان العادة، والكلام على هذا الحديث عندها، فراجعه إن شئت .
3. لو أخذنا بتحليل ابن تيمية للحديث لخاطبنا العقل بما لا يسلمه، لأن إحدى السماوات قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن السماء أطبت وحق لها أن تنطق، ما فيها موضع أربع أصابع، إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله))<sup>2</sup> وهذه السماء إما أن تكون السماء الدنيا أو غيرها، فإن كانت السماء الدنيا، فأين سينزل الله، هل يكون داخل السماء، والسماء ملبئة بمكانها، أم يكون خارجاً عنها، والحديث يقول إنه ينزل إليها؛ وإن كانت غيرها، فمن أين سينزل الله إليها؟ اللهم

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 579,5

<sup>2</sup> أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن مردويه عن أنس بن مالك 318,5



إلا أن يحضر نفسه ويجمع ذاته في معراج الأعمال، ومصعد الأقوال، والملائكة للكرام !!

وعلى فرض تفريغها من الملائكة وقت النزول - وهو ما لا دليل عليه - فكيف تحمل السماء الرب، وابن تيمية يؤمن بأن حجم السماوات السبع والأرضين السبع كخردلة في يد الرحمن<sup>1</sup>، فهي لا تكفي لملء يده، فكيف تسع ذاته؟

4. تحليل ابن تيمية يؤدي إلى خلو السماوات السبع من الملائكة والجنة والنار، لأن عقيدته أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يخلوا منه العرش، وذاته متصلة لا حد لأعلاها<sup>2</sup>.

فيكون مكانه في الشطر الأخير من الليل متمعا من السماء الدنيا إلى العرش الأعلى، وسينمحي كل ما في السماوات حتى الجنة والنار، لامتلاء المكان بالذات الإلهية، وسينوم هذا الإتمحاء بدوام هذا النزول، مع كل ليل، والليل لا ينقطع عن الكرة الأرضية.

5. لو أخذنا بتحليل ابن تيمية لتناقضا مع ظاهر الحديث الشريف، فالظاهر عنده على أن الله مستقر على عرشه طيلة النهار، لا ينزل منه إلا في الشطر الأخير، و تحليله يستلزم أن يكون الله في نزول دائم بدوام الليل في الكرة الأرضية، وعليه فلا يوجد له استقرار على العرش.

### الدليل الرابع

عن عمر بن الحكم أنه قال : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، إن جارية لي كانت ترعى غنما لي، فجننتها وقد فقئت شاة من الغنم، فبائلتها عنها، فقلت: أكلها الذئب، فأسفت عليها، وكنت من بني آدم، فلطممت وجهها، وعلى رقبة، فأعنتها ؟

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 439، 16

<sup>2</sup> وقد صرح بها أيضا إمام ابن تيمية أبو يعلى الحمصي في كتابه "بطلان التثاويلات" تمكلة السوف 116

فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((أين الله؟))

فقالت: في السماء

فقال: ((من أنا؟)) فقالت: أنت رسول الله.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((أعنتها؟))<sup>1</sup>

فهذا الحديث عند ابن تيمية يدل صراحة على مكان الله، ويحده بأنه في السماء.

### التقويم

هذا الحديث ورد في باب " الرقبة للمؤمنة التي يجوز عتقها" يوضح طريقة الكشف عن الإيمان، بالاستفسار عن أمور إذا ما وجدت في الإنسان، عُذَّ من زمرة المؤمنين وطائفة المصدقين.

والقارئ لهذا الحديث ولأحاديث أخرى مشابهة لهذا الحديث، كالحديث الذي ورد عن رجل من **الأنصار** أنه جاء بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت نرى هذه مؤمنة فأعتقها؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنتهدين أن لا إله إلا الله؟)) قالت: نعم. قال: ((أنتهدين أني رسول الله؟)) قالت: نعم. قال: ((أؤمنين بالبعث بعد الموت؟)) قالت: نعم. قال: ((أعنتها؟))<sup>2</sup> يلاحظ:

1. أن حديث الباب عبرته ((أين الله)) لا علاقة لها بالتوحيد والإيمان، لأن الإقرار بوجود الله في السماء لا يدل لا على إسلام ولا على إيمان، فأهل الجاهلية كانوا يقولون بوجود الله في السماء ومع هذا كانوا يتخفون منه ألهة أخرى.

2. أن الحديث الثاني ينسجم مع القاعدة الصريحة في الشريعة ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله))

<sup>1</sup> قسوطا - قيس - 965,3

<sup>2</sup> رواه أحمد ورجله رجال الصحيح جميع فروق 247,4

فالشهادة تخرج الإنسان من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، لأنها تدل على أنه لا معبود بحق إلا الله، لأنه المستغنى عن كل ما سواه، المقتدر إليه كل ما عداه، فهي تثبت لله الألوهية، وتثبت انفراده بها، وتنسب لغيره العبودية، وتجرده من كل خصائص الربوبية.

وأما التعبير بأن الله في السماء فلا يدل على الإسلام؛ لأن أهل الجاهلية - كما سبق - كانوا يقولون بوجود الله في السماء، ويتخذون معه آلهة أخرى. ونحن هنا بين خيارين:

1. إما أن نقول إن اللفظ النبوي الذي عبر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستفهم عن الإيمان به في الحديث الأول، هو ((أشهادين أن لا إله إلا الله)) لأن الشهادة تكشف عن التوحيد وتدل عليه، فيكون الحديث منسجماً مع عنوان الباب الذي ورد فيه الحديث، ومتوافقاً مع السياق اللاحق والسؤال السابق - السؤال هدفه التأكد من إيمان الجارية - أي هل هي مؤمنة فأعتقها، أم هي غير مؤمنة فأبحث عن غيرها<sup>1</sup>.

2. أو نقول إن اللفظ النبوي الذي نطق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الإستفهام عن المكان ((أين الله)) فتقطع العلاقة بين الحديث والطلب أن تراها مؤمنة<sup>2</sup> أي تنقطع العلاقة بين السؤال والجواب، لعدم دلالة الإقرار بالمكان على التوحيد والإيمان، فيخرج القول عن مقتضى الحال، وما يقتضيه المقام من المقال، ويصير كلاماً غير بليغ.

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن لفظ "أين الله" وقعت روايته بالمعنى، وأن الراوي في إحدى الطبقات خطأ في التعبير، وذهل عن دلالة الأينية "أين" وعن عدم علاقتها بالتوحيد والإيمان، وسها عن مورد الحديث.

فإن قيل، فيمكن لفظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو "أين الله" ولفظ الراوي هو "أشهادين" رولية بالمعنى على الصورة السابقة، فالجواب أنه لم يصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلقين الإيمان طول أداء رسالته السؤال بأين، أو ذكر ما

<sup>1</sup> سلم ابن تيمية بأن المقصود بالسؤال هو استحقاقها لعمرف أنها مؤمنة أم لا ، مجموع الفتاوى 192,5

يوهم المكان ولا مرة واحدة في غير هذه لقصة المضطربة. من قتيبت هو تعبير  
 كلمة الشهادة، فاللفظ الجارى على الجادة أجتر بأن يكون نفسه قروون حتى  
 عليه وسلم<sup>1</sup> والدليل متى تطرق إليه الإحتمال بطل به الإستدلال.  
 وعلى كل فالحديث كان مع جارية صغيرة يلها متخلفة فى الناحية لعقلية. بنى  
 أن الصحابى انبهم عليه حالها مع إبتلاكه لها وعيشها معه، فجاء يسأل الرسول  
 صلى الله عليه وسلم - عن إيمانها، ومستوى البلاء لا يتعدى المحسوسات.



<sup>1</sup> تكملة السيف الصقل 108-109

## أدلة العروج والرفع

استدل ابن تيمية وابن القيم على وجود الله تعالى فوق العرش بالآيات الكريمة:

«لِعِرج الملائكة والروح إليه»

«إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»

«يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه»

«إني متوفيت ورافعت إلي»

وجاء في الحديث الشريف ((يعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم وهو أعلم بهم))<sup>1</sup>.

### التقويم

- (1) في هذا الاستدلال وقوف على اللفظ المتشابه، وطرح اللفظ المحكم، الذي بين غاية العروج، وهو قوله تعالى: «فولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى»<sup>2</sup> أي التي ينتهي إليها كل شيء، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها. وقال ابن عباس: سميت بذلك لأن إليها ينتهي علم الملائكة - عليهم السلام»<sup>3</sup>. ومكان السدرة في قول الأكثر السماء السابعة<sup>4</sup>، وفي حديث ابن مسعود أنها في السماء السادسة<sup>5</sup>. وتنتهي لعظمتها في السابعة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر مجموع الفتاوى 136,5-137 بحوث ابن القيم - مع شيف المصنف 102

<sup>2</sup> النجم 13 - 14

<sup>3</sup> إكمال الإكمال على صحيح مسلم 309,1

<sup>4</sup> المرجع السابق نفس المكان

<sup>5</sup> مسلم - الأبي 325,1

<sup>6</sup> إكمال الإكمال 325,1

وسواء كانت في السادسة أو السابعة فهي تحت العرش بفاصل عظيم، ففي حديث الأوعال الذي يؤمن به ابن تيمية ((وفوق السماء السابعة بحر، بين أسفله وأعله، كما بين السماء والأرض [مسيرة خمسمائة عام] ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين ركبتين وأطرافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك العرش، بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض))<sup>1</sup> فيكون ما بين مدرة المنتهى وبين نهاية العرش ما يزيد عن مسيرة ألف وخمسمائة عام.

والشاهد أن الانتهاء في العروج لم يكن لذات الله، وإنما كان لمدرة المنتهى. وأضيف العروج إلى الله، كما أضيف الذهاب إليه في قوله تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام-: «إني ذاهب إلى ربي سيهدين» أي إلى الموضع الذي أمرني ربي أن أذهب إليه. أخرج ابن المنذر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ((وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين)): قاله حين هاجر<sup>2</sup>.

(2) أن الآيات السابقة عبرت بلفظ ((إليه)) مع اختلاف المكان الذي ينتهي إليه الرفع والعروج:

فعروج الملائكة ينتهي إلى مدرة المنتهى، ومكان المدرة في السماء السادسة أو السابعة.

ورفع سيدنا عيسى -عليه السلام- كان للسماء الثانية، كما جاء في حديث المعراج<sup>3</sup>.

فإن أخذنا بظاهر لفظ ((إليه)) وقلنا إنه يدل على مكان الله، يكون الله في مكانين: في السماء الثانية على ظاهر قوله تعالى: «إني متوفيتك وأفعلك إني» وفي السماء السابعة على ظاهر قوله تعالى: «تروح الملائكة والروح إليه»

وهذا التأويل الظاهري يخالف عقيدة ابن تيمية الذي يؤمن بأن الله موجود فوق العرش، ويعنى هذا مخالفة ابن تيمية لمنهجه في التحليل، أو عدم تنبره لما يورده من نصوص.

<sup>1</sup> مسند الإمام أحمد -الفتح- 2،

<sup>2</sup> قدر المنثور 304، 5

<sup>3</sup> مسلم -الأبواب- 307، 1

(3) أن تحليله يؤدي إلى مخالفة تحليل السلف وعقيدتهم:

- قال حماد بن زيد: قصود الكلام كناية عن القبول<sup>1</sup>.
- قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان، وبمثل قوله قال الشافعي وجعفر الصادق وكثير من السلف، وقد سبق ذكر أقوالهم وعقيدتهم.



---

<sup>1</sup> إكمال الإكمال 309,1 وحماد بن زيد ممن يستدل به ابن تيمية.

## حديث المعراج

استدل ابن تيمية<sup>1</sup> بحديث المعراج على وجود الله فوق العرش، وعلى تحديد مكانه، سبحانه وتعالى عما يقولون.

### التقويم

لم يرد في حديث المعراج -كما قال ابن جهيل- أن الله فوق السماء، أو فوق العرش حقيقة، ولا كلمة واحدة من ذلك.

قال: وهو لم يسرد حديث المعراج، ولا بين وجه الدلالة منه حتى نجيب عنه، فلو بين وجه الدلالة لعرفنا كيف الجواب عنه<sup>2</sup>.

وما جاء في حديث المعراج أن موسى -عليه السلام- قال للرسول صلى الله عليه وسلم: ((ارجع إلى ربك)) يسألي في التعبير والدلالة قوله صلى الله عليه وسلم: ((فخرج الذين باتوا فيكم إلى ربكم))، ففي التعبير عبر كل منهما بلفظ ((إلى ربكم)) والميم في أحدهما علامة للجمع.

وفي الدلالة دل كل منهما على الموضع المقصود الذي جاء بيانه في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: أمرني برسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى به إلى سدة المنتهى... إليها ينتهي ما يصرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها منها<sup>3</sup>.

وفي الحديث أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثم ذهب بي إلى سدة المنتهى... فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أخذ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فلوحي الله إلي ما لوحي، ففرض علي خمسين صلاة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 137،5

<sup>2</sup> تكملة السيف الصفي 102

<sup>3</sup> مسلم -الأبي- 325،1

<sup>4</sup> المرجع السابق والجزء 308-309



وسدرة المنتهى فى القول الصحيح موجودة فى السماء السادسة<sup>1</sup>. وفى القول الأصح موجودة فى السماء السابعة، والقول الأصح هو قول الأكثر، كما قال الحافظ عياض<sup>2</sup>.

بينها وبين نهاية العرش بون عظيم، لا يقل عن مسيرة ألف وخمسمائة عام على حسب حديث الأوعال الذى يؤمن به ابن تيمية، وبينها وبين بداية العرش ما لا يقل عن ألف عام كما حكاه ابن تيمية فى الرسالة الحموية ص122 حين قال: بين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش.

والنتيجة مما سبق أن مكان السدرة -أي مكان الوحي فى ليلة المعراج- ليس مكان وجود الله، وهذا يدل على أن عبارة سيدنا موسى فى قصة الاسراء والمعراج "ارجع إلى ربك" فيها مضاف محذوف، ويكون المعنى إلى موضع ربك المقدس الذى خصصه للمخاطبة.

والإضافة هنا للملكية والتشريف، كقوله تعالى: ﴿نَالَهُ ابْلَه﴾ وكقوله صلى الله عليه وسلم عن الكعبة: ((بيت الله))

وعلى كل فلا يصح أن يكون مكانا لله عند ابن تيمية، لأنه ليس المكان الأعلى. وابن تيمية هنا بين خيارين:

— إما أن يسلم بتحديد أغلب الصحابة لمكان سدرة المنتهى بأنها فى السماء السابعة، وأن بينها وبين العرش بون عظيم، فتنتفى الدلالة فى حديث المعراج على أن الله مكانا.

— وإما أن يأخذ بقول ابن عباس بأن مكان سدرة المنتهى فى يمين العرش<sup>3</sup>. ويعتبر قوله حجة، فيصطدم بما صرح به فى فتواه حين قال: لا يكون قول بعض الصحابة حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق 325،1

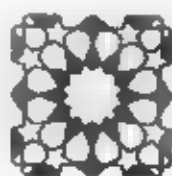
<sup>2</sup> إكمال الإكمال على مسلم 325،1

<sup>3</sup> إكمال الإكمال 325،1

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 14،20

وابن عباس لم يأخذ المعطومة من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وإنما أخذها عن كعب<sup>1</sup> الأحمري، الذي يستند في روايته على الإسرائيليات. وخطاب الله للرسول صلى الله عليه وسلم - في ذلك المكان لا يدل على أن الله في جهة، قال إمام الحرمين الجويني عن الحديث الشريف: ((لا تفضلوني على يونس بن متى)): إن هذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم - وهو عند مدرة المنتهى، لم يكن بأقرب إلى الله من موسى - عليه السلام - وهو في بطن الحوت في قعر البحر، فدل ذلك على أنه منزّه عن الجهات، وإلا ما صح النهي عن التفضيل<sup>2</sup>.

قال الإمام مالك: إنما خص يونس بالتنزيه<sup>3</sup>، أي تنزيه الله عن الجهة. ويونس عليه السلام كان في مقام المخاطبة، فهو القائل في بطن الحوت: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» وخطابه في بطن الحوت لله سبحانه، لا يدل على أن الله موجود فيه.



<sup>1</sup> قدر المنشور 139,6

<sup>2</sup> تكملة السيف 41

<sup>3</sup> نقل هذا القول عن الإمام مالك الإمام الملكي نصر الدين بن المنير في كتابه ((المقتضى إلى شرف المصطفى)) المرجع السابق والصفحة.

## أدلة أخرى

أورد ابن تيمية وابن القيم في كتبهم أحاديث أخرى، تكلم عنها نقاد الحديث بالتضعيف والرد، ومنها:

(1) حديث سعد بن معاذ: "لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله تعالى الذي حكم به من فوق سبع سماوات".

### التقويم

في سند هذا الحديث :

- إسحاق بن محمد وابن أبي لويس متكلم فيهما.
- ابن صالح، قال عنه أبو حاتم : ليس بالقوي.

### صفة هذا الحديث

قال الحافظ ابن العربي : هذا الحديث غير صحيح<sup>1</sup>.

وعلى فرض صحته فالموجود فوق السماء السابعة غير الموجود فوق العرش، لأن الذي بينهما لا يقل عن ألف عام كما يقول ابن تيمية في الرسالة الحموية، فالحكم من فوق السماء السابعة غير الحكم من فوق العرش، كما أن الحكم من فوق السماء الخامسة غير الحكم من فوق السماء السابعة<sup>2</sup>.  
والمقصود في الحديث فوقية السماء السابعة مباشرة، ودل على هذا حرف الجر من "من فوق".

والذي فوق السماء السابعة مدرة المنتهى التي تتلقى عندها الملائكة الوحي والأحكام كما جاء في حديث مسلم<sup>3</sup> عن عبد الله بن مسعود، فحكم سعد مطابق لحكم الله المتلقى عند مدرة المنتهى التي هي فوق سبع سماوات، والذي حكم به على

<sup>1</sup> هاشم الصفات 420

<sup>2</sup> بينهما ألف عام

<sup>3</sup> مسلم - الأبي 125.1

اليهود بالقتل والإعدام، وبمعنى آخر اجتهد سعد مطابق لنصوص الشريعة وأحكامها.

(2) ومثل حديث سعد أثر عمر بن الخطاب الذي أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن زيد قال: لقي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- امرأة يقال لها خولة، وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجال قريش على هذه المجوز؟ قال: ويحك وتكرى من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها<sup>1</sup>.

ومعنى هذا الأثر أن الله سمعها سمع إجابة، وأكرمها بأن أنزل آيات أول المجادلة بسببها؛ لأنه إذا كنا سنفسر السمع في الأثر بمجرد السمع لصوتها، لم يكن لهذه المرأة حينئذ ما يميزها عن غيرها، لأن الله يسمع جميع البشر، كما يسمع صوتها، وبالتالي ليس هناك من سبب يدفع عمر بن الخطاب إلى هذا التوفير والتبجيل، فلما أجلها بما أجل، علمنا أنه يقصد سمعاً معيناً، وهو سمع الإجابة، على سبيل المجاز والمرسل، من إطلاق السبب -السمع- وإرادة المسبب -الإجابة لشكوها التي اشتكت فيها زوجها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-<sup>2</sup> فيكون المقصود بالأثر أجاب الله شكواها من فوق سبع سماوات، بالوحي إلى ملائكة التبليغ، والوحي مكانه فسي السماء عند مدبرة المنتهى، التي هي فوق السماء السابعة مباشرة.

هذا كله إذا سلمنا بصحة الأثر وإلا فإن في سنده:

- جريد بن حازم مختلط
- أبو زيد أو ابن زيد الذي حدث عن عمر لم يدرك عمر ولم يعرفه الإمام مالك مع كونه مدنياً، أي من أهل بلده<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> لدر المشرق 198،6-199

<sup>2</sup> انظر قصة في المرجع السابق وغيره من التفصيل

<sup>3</sup> ملش الأسماء والصفات للكوثري 420

وصيغة الأثر عند البخارى في تاريخه عن عمر، مخالفة لهذه الصيغة، فقد جاء فيه: ما يمنعنى أن أستمع إليها، وهي التى أستمع الله لها.<sup>1</sup>  
وما جاء فيه موافق لمنهج السلف فى التعبير، الذين كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يقولونه، ولفظ القرآن: (قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها) بدون تحديد لمكان السمع.

### (3) حديث أبى رزین

جاء فى مسند الإمام أحمد: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنى يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدى، عن عمه أبى رزین العقيلي أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض؟  
قال: كان فى عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء.<sup>2</sup>  
وفى رواية فى عمى بالقصر.

## التقويم

الكلام فى هذا الحديث من ناحيتين:

(1) من حيث ثبوته.

(2) من حيث تأويله.

### من حيث الثبوت

فى سند هذا الحديث حماد بن سلمة، وقد سبق بيان حاله وطعن العلماء فيه، وقد انفرد عن يعلى بن عطاء، ووكيع بن حدى مجهول الصفة، وقد انفرد عن ابن رزین.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الدر المنثور 199،6

<sup>2</sup> مسند الإمام أحمد - الفتحة 3،20-4

<sup>3</sup> مناقش الأسماء والصفات 445

## من حيث تأويله

أول ابن الأثير هذا الحديث بأنه مبنى على حذف مضاف؛ تقديره أين كان عرش ربنا؟ فأجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه كان في عَمى، ثم جعله فوق الماء، وفعل ((خلق)) متضمن لمعنى جعل وأظهر العرش تفخيماً وتعظيماً، والقريضة والعلامة على هذا التأويل أن التحديد الموجود في قوله ((ما فوقه هواء وما تحته هواء)) لا يمكن أن يعود على ((عمى)) في رواية القصر، لأن العمى يعنى المعدوم<sup>1</sup>، والمعدوم غير موجود، وللتحديد من صفة الموجودات.

ويمكن أن يعود على "عماء" -السحاب الرقيق- في رواية المد، بشرط أن لا يرجع الضمير المستتر في ((كان في عماء)) إلى الله.

وهذا الشرط يتوافق مع عقيدة ابن تيمية وعقيدة غيره؛ لأن السحاب محدد في الحديث من جهة الفوق والتحت، وما فوقه هواء وما تحته هواء\* والموجود في المحدد محدد، وعقيدة ابن تيمية أن الله لا نهاية لذاته من أعلى<sup>2</sup>. عليه فلا يمكن أن يرجع الضمير عليه، لأن الحديث يخبر عن شيء موجود في السحاب، له نهاية علوية.

**والسلف الصالح ينفي صفة الحد عن الله مطلقاً:**

- قال زين العابدين: أنت الله الذي لا تحد<sup>3</sup>.
- وقال أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر: ولا حد له ولا ضد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> لأن معناه لا شيء ثابت، وأطلق عليه لفظ العمى لأنه عَمى عن الخلق لكونه غير شيء. الفتح الرباني لمسند الإمام أحمد 420

<sup>2</sup> وهي عقيدة أهل الطاهر الذين يسلطون التأويل. انظر كتاب "مبادئ التأويلات" لأبي يعلى الحنبلي الذي صرح فيه بأن له نهاية من أسفل فقط، وهو ما رآه في السنة والهيمنة والفوق والأمم والخلف إلى غير غاية ولا نهاية.

تكملة السيف 116

<sup>3</sup> مقالات السنة 89

<sup>4</sup> فقه الأكبر 57

- وقال الإمام الشافعي: اعلموا أن الحد والنهاية لا يجوز على الله تعالى، ومعنى الحد طرف الشيء ونهايته.. لأن ما كان محدوداً متناهياً صح أن يتوهم فيه الزيادة والنقصان، وأن يوجد مثله، فكان لاختصاصه نوع من النهاية، والتحديد الذي يصح أن يكون أكبر منه أو أصغر، يقتضي أن يكون له مخصص يخصصه على حد ونهاية، وخلق الله على قدر، وذلك دلالة الحدوث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>1</sup>.

- قال الإمام أحمد بن حنبل الذي أخرج الحديث "أين كان ربنا": لا تلحقه الحدود قبل خلق العرش، ولا بعد خلق العرش<sup>2</sup>.

- وجاء في العقيدة الطحاوية التي تعبر عن أراء السلف: تعالى عن الحدود والغايات<sup>3</sup>. والحاصل أن الموجودات قبل خلق السموات والأرض: الله، والعرش، والماء، والقلم. ولا يصلح أن يكون المتحدث عنه هو الله في الحديث الشريف. وأنت بالخيار، إما أن تقف عند هذا الحد بعد أن صرفت الحديث عن ظاهره، وتكل المعنى المقصود به إلى الله، أو تجتهد في تحديده، استعانة بالأحاديث الأخرى، أو بالقرائن اللفظية في الحديث كما فعل ابن الأثير.

(4) حديث أبي الدرداء "ربنا الذي في السماء تقس اسمك"

### التقويم

هذا الحديث غير صحيح، لأن في سنده زيادة بن محمد منكر الحديث<sup>4</sup>، وعلى فرض صحته، فلا يتعين حمله على المكانية لله سبحانه، لأن أصل الجملة كان هكذا: "ربنا الذي تقس اسمك في السماء، عند الملائكة الكرام"، وبهذا فلا دلالة فيه على ما يريد الظاهرية حمله عليه.

<sup>1</sup> الفقه الأكبر للشافعي ص 8

<sup>2</sup> اعتقاد الإمام أحمد لرويس الطحاوية غير الفضل التميمي ص 6 مخطوط المقالات المسنية 121

<sup>3</sup> هامش الأسماء والصفات 423

<sup>4</sup> هامش الأسماء والصفات 423

وأننى ما يقال فيه القاعدة الأصولية: الدليل متى تطرق إليه الإحتمال عسر - الاستدلال .

- (5) حديث عمران حين سأله النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((كم تعبد اليوم من إله؟)) قال: سبعة: ستة في الأرض، وواحد في السماء .  
قال: ((فأيهم تعد لرغبتك؟)) قال: الذي في السماء . قال: ((أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك؟)) قال: فلما أسلم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، علمني الكلمتين اللتين وعدتهما، قال صلى الله عليه وسلم - : ((قل: اللهم الهمني رشدي، وقني شر نفسي)).

### التقويم

في سند هذا الحديث شبيب ضعفه النسائي وغيره .  
وعلى فرض صحته فلا يجوز به الاستدلال على إثبات المكان لله، لأن هذا السؤال وقع يوم كان حصين مشركاً، ولا يكون من باب الإقرار ما يشاهده النبي - صلى الله عليه وسلم - في المشرك ويسكت عنه، لأنه لو حمل على الإقرار لعد سكوته على قوله بوجود الآلهة في الأرض إقراراً أيضاً .  
وعرض النبي - صلى الله عليه وسلم - الإسلام على حصين بعد ما تكلم بما تكلم به صريح في استنكار ما قاله<sup>1</sup> .

- (6) قول ابن المبارك الذي رواه علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا أبو عبد الله قال سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هارون يقول سمعت محمد بن نعيم، يقول: - سمعت الحسن بن الصباح البزار يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبد الله بن المبارك: كيف تعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه. قلت: فإن الجهمية تقول هو هذا . قال: إنا لا نقول كما قالت الجهمية تقول: هو هو . قلت: بحد، قال إي والله بحد .

<sup>1</sup> المرجع السابق 423-424



- في سنده الحسن بن الصباح قال عنه النسائي: ليس بالقوي، وابن شقيق تكلموا فيه في الإرجاء<sup>1</sup>.
- في منته عدم الاتسجام بين السؤال والجواب، فالمسأل بكيف، والجواب بالمكان.
- في عقيدته مخالفة لمقيدة السلف الصالح الذين ينزهون الله عن الحد، وقد تقدم نقل أقوال الأئمة في هذا، فراجعها إن شئت .
- في طريقة تعبيره مخالفة لمنهج السلف الذين كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه، فلفظه "في السماء السابعة" لم يرد في الكتاب والسنة الصحيحة.
- ويجل مقدار الإمام أن يكون من الثنائين في عقيدته ومنهجه عن السلف الصالح.
- مما يدل على أن الخلل الواقع فيه جاء عن طريق أحد الرواة .
- وعلى كل فقله لا يعتبر من الأدلة الشرعية التي يستند إليها في التثريعة .
- وهناك أحاديث أخرى استدل بها ابن تيمية وابن القيم تكلم فيها العلماء بالنقد والطعن فراجعها إن أحببت في مظانها<sup>2</sup> .



<sup>1</sup> المرجع السابق 426-427

<sup>2</sup> كهامش الأسماء والصفات للكوثرى، وتكملة سيف فضول له، وفي كتابه "المقالات"

## أصناف العلماء

يمكن تصنيف العلماء الذين ينقل عنهم ابن تيمية وابن القيم في كتبهما أن الله في السماء إلى :

1. كذابين.
- ومن أمثلتهم:-
- أ. أبو مطيع البلخي<sup>1</sup> الذي نقل عن أبي حنيفة أن الله في السماء، قال عنه ابن حجر في لسان الميزان<sup>2</sup>: قال أبو حاتم الرازي: كان مرجئا كذابا.
- وقال عنه الإمام أحمد: لا ينبغي أن يروى عنه شيء، وعن ابن معين إنه ليس بشيء<sup>3</sup>.
- ب. ابن بطة.
- قال عنه الحافظ ابن حجر: وقفت لابن بطة على أمر استعظمته، واقشعر جلدي منه<sup>4</sup>.
- ج. الكلابي، قال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء<sup>5</sup>، وروايته عن أبي صالح سلسلة الكذب<sup>6</sup>.
- د. أبو العز بن كادش أحمد بن عبدالله من أصحاب العساري كان كذابا يضع الحديث باعترافه كما جاء في الميزان.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 183,5

<sup>2</sup> 335,2

<sup>3</sup> الميزان 574,1

<sup>4</sup> لسان الميزان 113,4، تاريخ بغداد 375,10

<sup>5</sup> تكملة السيف 206

<sup>6</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يكون في آخر الزمان رجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فياكنم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم))<sup>1</sup>

## 2. قاتلون بالتجسيم للذات الإلهية

ومن أمثلتهم أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب الفصول، وأبو الخير يحيى العمراني، قال للمحدث الكوثري: قد كفنا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السبكي والياقني الشافعيان.<sup>2</sup>

3. قاتلون بالتنشيب كمحمد بن أبي شيبة صاحب كتاب العرش، الذي اجتمع فيه وصف التشبيه والكذب<sup>3</sup>، ومقاتل بن سليمان الذي قال عنه الإمام أبو حنيفة - كما جاء في تهذيب التهذيب -: لئانا من المشرق ريان خيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه.

وقال: أفرط جهم في النفي حتى قال: إن الله ليس بشيء، وأفرط مقاتل في الإثبات، حتى جعل الله تعالى مثل خلقه<sup>4</sup>.

وقد روى البغوي الشافعي عنه وعن الكلبي، مصرحاً بهما، اعتماداً على قول أهل النقد فيهما، ودلالة على أن هذا القول - العلو الحسي - قول أهل الزيغ.

## 4. غير متخصصين

ومن أمثلتهم

أ. ابن خزيمة، الذي يقول عن نفسه: ما تتكرون على فقيه راوي حديث، أنه لا يحسن الكلام<sup>5</sup> أي علم العقيدة الذي من أسمائه علم الكلام.

قال الإمام البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الزاهد البوشنجي يقول: دخلت على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي

<sup>1</sup> مسلم - الأبي - 21، 1

<sup>2</sup> التكملة نفس المكان

<sup>3</sup> نفس المكان

<sup>4</sup> فرقان القرآن للزمامي 21

<sup>5</sup> الأسماء والصفات للبيهقي 267

بالري، فأخبرته بما جرى بنيسابور بين أبي بكر بن خزيمة وبين أصحابه، فقال: ما لأبي بكر والكلام، إنما الأولى بنا وبه أن لا نتكلم فيما لم نتعلمه.

فخرجت من عنده حتى دخلت على أبي العباس القلاسي، فقال: كان بعض القدرية - من الفرق المنحرفة - وقع إلى محمد بن إسحاق، فوقع لكلامه عنده قبول [أي تأثر بهم]، ونقل قولهم بلا تمحيص<sup>1</sup> ثم خرجت إلى بغداد، فلم ادع فيها فقيها ولا متكلماً إلا عرضت عليه تلك المسائل، فما منهم من أحد إلا وهو يتابع أبا العباس القلاسي على مقالته، ويغتم لأبي بكر بن إسحاق فيما أظهره<sup>2</sup>. وحاصل هذه النقولات:

♦ أن ابن خزيمة ليس من أهل الذكر في علم الكلام، فلا ينبغي ولا يجوز الاعتماد عليه فيه «فاسألوا أهل الذكر»

♦ أنه مخالف لجمهرة الفقهاء والعلماء في زمنه، وأنهم مستأون منه لشذوذه، وخروجه عن الطريق المستقيم، وتكلمه فيما لا يعلم، وابن تيمية يصف هذا الشيخ غير المتخصص وغير المتقن لعلم الكلام بأنه إمام الأئمة<sup>3</sup>، مع أن الله يقول «الرحمن فاسأل به خبيراً» ومع أن السلف الصالح يلهجون بالآثر الصريح ((انظروا عن تأخذون دينكم))

ب. ومن أمثلة هذا الصنف ابن أبي حاتم الذي أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام<sup>4</sup> واللالكاني والظلمنكي إسماعيل التيمي اللذين تكلمتا في غير تخصصهما<sup>5</sup>.

5. علماء ينكرون المجاز كابن خويز مقداد من المالكية، وكأبي عبد الله بن حامد؛ وابن الزغواني وصاحبه القاضي<sup>6</sup>، وقد سبق في التمهيد بيان بطلان هذا المذهب، ومن كلام ابن حزم عن ابن خويز مندك يفهم أنه إنما أفكر المجاز،

<sup>1</sup> المرجع السابق 267 269

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى 138,5

<sup>3</sup> الأسماء للبيهقي 199

<sup>4</sup> تكملة الموف 125

مشكوة أصول الفقه للشافعي 58: المجاز لمطبعي 1122,2

ليثبت أن الحجارة لها عقل به تخشى الله، كما يخشاه العقلاء، وهذا ما يفيد  
ظاهر النص الكريم «وإن منها لما يهبط من خشية الله» وقد حمل عليه ابن حزم  
في كتابه "الأحكام في أصول الأحكام" 543,4 وعلى أمثاله حملة عنيفة، وسخر  
منه ومن عقله الذي زعم أن للحجارة عقلاً<sup>1</sup>. ومستند ابن خويز منداد في إنكار  
المجاز - كما ترى لا وزن له، وما بناء من الأحكام في تحليل الآيات المتشابهة  
على هذا الأساس يأخذ حكمه.

أما ابن حامد ومن معه من الحنابلة فقد قال عنهم الحافظ ابن الجوزي: رأيت  
من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف منهم ثلاثة،  
ابن حامد وصاحبه القاضي، وابن الزغواني، صنفوا كتباً شأنوا بها المذهب،  
وقد رأيتهم نزلوا إلى مرتبة فحملوا الصفات على مقتضى الحس... وقد أخذوا  
بالمظاهر في الأسماء والصفات، فسموا الصفات تسمية مبتدعة، لا دليل لهم  
في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى التصوص الصارقة عن  
المظاهر إلى المعاني الواجبة لله سبحانه وتعالى، ولا إلى إلغاء ما توجبه  
المظاهر من سمات الحدث، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة  
ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على ما توجبه اللغة مثل اليد  
على النعمة أو القدرة، ولا المعنى على معنى البر واللفظ، ولا الساق على  
الشدة، ونحو ذلك، بل قالوا نحملها على مظاهرها المتعارفة، والظاهر هو  
المعهود من نعوت الأسميين... وهم يتخرجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته  
إليهم، ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبهم خلق  
من العوام على ذلك، لجهلهم ونقص عقولهم، وكفروا تقليداً، وقد نصحت للتابع  
والمتبوع،...

هل بلغكم أنه -أي الإمام أحمد- قال: إن الاستواء من صفة الذات المقدس أو  
صفة الفعل؟

فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء؟

<sup>1</sup> المجاز للمطعمي 1122,2

وهذا كله ابتداء قبيح... فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي -  
أعنى الإمام أحمد- ما ليس منه، فلقد كسوتهم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى لا  
يقال عن جنبلي (إلا مجسم)، ثم زينتم مذهبكم بالعصبية ليزيد، وقد علمتم أن  
صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض  
لعمركم: لقد شأن المذهب شيئاً قبيحاً لا يفصل إلى يوم القيامة! <sup>1</sup>

6. عطاء لا يعتد بروايتهم، حماد بن سلمة، وكعب بن نافع بن الصائغ، فلقد  
كان حماد مختلطاً يدخل في حديثه ربياه ما شاء.

قال المحدث الكوثري: يكفي في معرفة حال حماد بن سلمة الإطلاع على كتب  
الموضوعات- أي التي تتحدث عن الأحاديث الموضوعية المكتوبة، في سباب  
التوحيد منها خاصة، فيرى فيها القارئ أخباراً تلقفها رويت بطريقه بكثرة، بل  
ما سرد ابن عدي نفسه في الكامل في ترجمة حماد هذا، من الأحاديث التالفة  
المروية بطريقه، كاف في معرفة سقوط ما يرد من طريقه وروايته، بل سقوط  
ابن عدي المتحمس دونه <sup>2</sup>.

وقال عنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي: كان حماد بن سلمة لا يعرف  
بهذه الأحاديث، حتى خرج خرجة إلى عبدان، فجاء وهو يرويه، فلا أحسب  
إلا شيطاناً خرج إليه في البحر، فلقاها إليه <sup>3</sup>.

وعبد الله بن نافع الذي يروي عن مالك أنه قال " الله في السماء " قال عنه  
الإمام أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث، وكان ضعيفاً فيه،  
وقال عنه ابن عدي: يروي غرائب عن مالك. وقال ابن فرحون: كان أصماً  
لما لا يكتب <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> دفع شبه من تشبه وتمرد 6-7

<sup>2</sup> تكملة السيف 111

<sup>3</sup> للمرجع السابق 110 قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: إن الشيطان ليتسل في صورة الرجل.

يأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكتب . مسلم -الأبي- 21,1

<sup>4</sup> المرجع السابق 129

ومن أمثلتهم:

أ. الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي نقل ابن تيمية من كتابه "الغنية" قوله: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش<sup>1</sup>.

وقد ذكر الياضي في نشر المحاسن، وابن حجر المكي في فتاويه، والنجم الأصفهاني، أن ذكر الجهة - أي كونه تعالى في الأعلى على العرش - ونحوه مدسوس في كتب الشيخ عبد القادر، وأنهم لا يعتقدون بروايات أمثال الذهبي وابن القيم وشيخه وابن رجب عنه في هذا الصدد، لأنهم متهمون عندهم فيما يتعلق بالجهة<sup>2</sup>، ويؤكد هذا الدس ما جاء في عقيدة الأكابر للشيخ نفسه: أين الأين وتززه عن الأينية.

- قال الحافظ صلاح الدين العلائي عن الذهبي: لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله عن الناس، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومنافرة التأويل، والغفلة عن التنزيه، حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه، وميلاً قويا إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم لواحد منهم، يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويبالغ في وصفه، ويتغافل عن غلطاته، ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين، والغزالي، ونحوهما، لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول من طعن فيه، ويعيد ذلك ويبيده، ويعتقده ديناً، وهو لا يشعر، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها، وكذلك يفعل في أهل عصرنا، إذا لم يقدّر ذلك على أحد منهم بتصريح يقبل فسي ترجمته: والله يصلح... ونحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد<sup>3</sup>.

- قال التاج ابن السبكي: الحال في شيخنا الذهبي أزيد مما وصف، وهو شيخنا ومعلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 85،5-86<sup>2</sup> التكملة 113-114<sup>3</sup> نقل عنه المحدث الكوثري في التكملة 202-203

يسخر منه... والذي أتركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه، وعدم اعتبار قوله، ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه، وأما قول العلائي عن دينه وورعه وتحريه فيما يقوله، فقد كنت أعتقد ذلك، وأقول عند هذه الأشياء ربما اعتقدها ديناً، ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب، وأقطع بأنه لا يفتلقها، وأقطع بأنه يحب وضعها في كتبه لتتشر، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بغضا للمتحدث فيه، وتغفيرا للناس عنه، مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ومع اعتقاده أن ذلك مما يوجب نصراً للعقيدة..."

وقال التاج أيضاً في طبقاته، وهو يترجم لإمام الحرمين ما نصه: "وقد كان الذهبي لا يدرى شرح البرهان، ولا هذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافات من طلبة الحنابلة فيعتقدونها حقاً، ويودعها تصانيفه<sup>1</sup>."

ب. الإمام الشافعي، فاعتقاده المذكور في ثبت الكوراني كذب موضوع، مروي بطريق ابن كادش والعشاري وأولهما كان كذاباً، يضع الحديث كما جاء في الميزان، وثانيهما كان مغفلاً يتقن ما يلقن<sup>2</sup>.

ومما ينفي عن الإمام القول بالإثبات الظاهري للاستواء على العرش قوله فسي كتابه "الفقه الأكبر" واعلموا أن الباري لا مكان له، والدليل عليه هو أن الله تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان، وهو على صفته الأزلية، كما كان قبل خلقه المكان.

وصرح العلم العراقي أن الإمام الشافعي ومالك وأبنا حنيفة والأشعري والباقلاني كانوا يقولون: إن معتقد الجبهة كافر<sup>3</sup>.

ج. الإمام البيهقي الذي نقل عنه ابن تيمية أنه يقول في باب الاستواء أن الله على عرشه، وأنه يبطل قول من يقول إن الله بذاته في كل مكان<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> التكملة 203

<sup>2</sup> المرجع السابق 206

<sup>3</sup> التكملة 116

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 192.5-193



والإمام البيهقي بعيد عما يريد ابن تيمية نسبه إليه، فهو يرى انحصار الحق في قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) في طريقتين:

- طريقة التفويض التي تكل المعنى المراد بالجملة إلى الله.

- طريقة التأويل.

وأصحاب التأويل في رأي البيهقي لا يقصنون بالعلو فيه علو الذات، وإنما علو المكانة.

فالبيهقي كما قال الدكتور أحمد بن عطية الغامدي -من أتباع ابن تيمية-: لا يرى الإثبات الحقيقي<sup>1</sup>، وينزه الله تعالى عن الجهة والمكان<sup>2</sup>.

8. علماء لا تدل عباراتهم صراحة على الإثبات الحقيقي -أي الجلوس والاستقرار- كقول مجاهد والطبري: "استوى" علا على العرش، وكتفسير أبي العالية الرياحي الاستواء بالارتفاع، وكقول أحمد وإسحاق بن إلهويه أن الله فوق سماواته.

فقد تقدم بيان مذهب السلف في العلو، وأنهم يقصدون بالعلو علو القدرة لا علو الذات، وقد صرح الإمام ابن جرير الطبري بقصده في لفظ علا حين قال في تفسير قوله تعالى: (وهو العلي العظيم) العلي الفعيل، من قولك علا يعملو إذا ارتفع، فهو عال وعلي، والعلي ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته<sup>3</sup>. وتفسيره العلو بالعلو المعنوي هو الذي يليق بجلال الله كما سبق بيانه.

9. علماء أخذوا النظرية مسلمة ممن سبقهم بدون تحقيق كابن عبد البر الذي قال: إن أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز<sup>4</sup>. وقد تقدم في هذا البحث ما ينفي هذا القول، ويبطل هذا الإجماع:

<sup>1</sup> البيهقي وموقفه من الإلهيات 275

<sup>2</sup> المرجع السابق 282

<sup>3</sup> تفسير ابن جرير الطبري 192، 1

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى 87، 9

- فقد أول ابن عباس الصاق بالثمذة.
- وأول الحسن البصري القدم بالذين قدمهم الله من شرار خلقه.
- ونقل الإمام الربيع عن الصحابة تأويلاتهم لقوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»
- وأول ابن جرير العلو بعلو القدرة<sup>1</sup>.
- وأول قوله تعالى: «والسماء بنيناها بأيدي» بالقوة، ونقل تأويل الأيدي بالقوة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومنصور وابن سفيان<sup>2</sup>.
- والأيدي في اللغة جمع يد، وهي الكف، جاء في القاموس، اليد الكف، أو من طرف الأصابع إلى الكتف، أصلها يدي، جمعها يدي ويدي.
- وأول الإمام البخاري الضحك بالرحمة<sup>3</sup>.
- وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قوله تعالى: «وجاء ربك» أنه جاء ثوبه.
- ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا عيار عليه<sup>4</sup>.
- وأول ابن جرير قوله تعالى: «تجري بأعيننا» بأن المقصود منه مرأى منا ومنظر، ونقل أن سفيان أول «بأعيننا» بأمرنا<sup>5</sup>.
- وأول كذلك ابن جرير قوله تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان» بأن المعنى المقصود من قوله «يد الله مغلولة» أن خير الله ممسك وعطاء محبوب، ومن قوله «بل يداه مبسوطتان» العطاء.

<sup>1</sup> تقدمت في هذا البحث تأويلات سابقة

<sup>2</sup> تفسير ابن جرير

<sup>3</sup> نكتات الأشراف 341

<sup>4</sup> البداية والنهاية 327، 10

<sup>5</sup> تفسير ابن جرير

ثم قال: لأن عطاء الناس في وصف بعضهم بعضاً إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشرح وضيق، بإضافة ما كان ذلك في صفة الموصوف إلى يديه، كما قال الأعشى:

يداك يدا مجد فكفت مقيدة وكفت إذا ما ظن بالزاد تنفق

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إتفاق وإفادة إلى اليد.

ومثل ذلك في كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يحصى، فخطيبهم الله بما يعني بذلك أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا، ويمنعنا فضله، فلا يفضل، كالمغلولة يده، الذي لا يقدر أن يبسطها يعطاء ولا ينل...

ثم قال: وبمثل الذي قلنا قال أهل التأويل كابن عباس وقتادة والضحاك<sup>1</sup>.

- وأول سفيان الثوري الوجه في قوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه» بالملك، وكذلك فعل الإمام البخاري<sup>2</sup>.

- وأول الإمام الحافظ أبو سليمان الخطابي اليمين في قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه)) فقال: معناه حسن القبول، فإن العادة جرت من نوى الأدب، بأن تصان اليمين عن الأشياء الدنية، وإنما يباشر بها الأشياء التي لها قدر ومزية<sup>3</sup>.

- وأول حماد بن زيد قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) بأنه كناية عن الإقبال<sup>4</sup>.

- وأول ابن عباس قوله تعالى: «سفرغ لكم أيها الثقلان» بأنه وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المراجع السابق

<sup>2</sup> المقالات السننية ■

<sup>3</sup> إكمال الإكمال 301.7

<sup>4</sup> طلائع الإشارات 333

<sup>5</sup> المراجع السابق 356

- وأول قتادة: ((ولن ندوت منى شبرا ندوت منك ذراعاً))<sup>1</sup> بالامراع بالمغفرة<sup>2</sup>.
- وقال الحافظ ابن العربي: قوله عليه السلام: ((تقع في كف الرحمان)) كلام صحيح يشهد له القرآن والسنة، فإن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» فعبّر عن نفسه للكرامة بالمستقرض، فمن دفع للمستقرض شيئاً، فقد وقع ما دفع في كف المستقرض، كما أنه قال: مرضت فلم تدني فيكون المرض صفة؛ فكما أنه لا يكون المرض صفة لا يكون الكف كذلك<sup>3</sup>.
- وصرح الإمام مالك والأوزاعي في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)) بأن الله لا يجوز عليه الانتقال<sup>4</sup>.
- وأول النظر بن شميل القدم في قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((حتى يضع رب العزة فيها قدمه)) بأنهم الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار<sup>5</sup>.
- وأول الإمام البيهقي قوله تعالى: «يخادعون الله وهو خادعهم» بأنهم يفسدون ما يظهرون من الإيمان، بما يضمرون من الكفر، «وهو خادعهم» أي يفسد عليهم نعمهم في الدنيا، بما يصيرهم إليه من عذاب الآخرة<sup>6</sup>.
- وروى البيهقي عن الشافعي في قوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه» أن ليس المقصود بأهون ظاهره، وإنما جاء على طريقة البشر في التعبير، فليس شئ يعظم الله عز وجل<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> حديث يتكلم على التوبة

<sup>2</sup> رواء أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد 81، 10

<sup>3</sup> البراهين الساطعة 274

<sup>4</sup> دفع شبه من تشبه وتمرد ص 5

<sup>5</sup> دقائق الإشارات 287 دفع شبه من تشبه ■

<sup>6</sup> البقلى 354

<sup>7</sup> المرجع السابق 369

- وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن حديث الصوت: لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب سبحانه، ويحتاج إلى تأويل<sup>1</sup>.
- وقال الإمام الحافظ ابن دقيق العيد: إن كان التأويل من المعجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف<sup>2</sup>.
- وقال شريح - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ على قراءة الرفع في الضمير 'عجبْتَ': إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم<sup>3</sup>. قال ابن الأثير: معنى عجب ربك زأدهم إنعاماً، فعبّر بالعجب عن ذلك. قال الأئمة: لأن العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه، وذلك إنما يكون في المخلوق، وأما الخالق فلا يليق به ذلك، فمعناه عظم قدر ذلك شيء عنده، لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده<sup>4</sup>.
- وأول الإمام المازري اليد في قوله صلى الله عليه وسلم: ((يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى)) بالقدرة<sup>5</sup>.
- وأول الإمام الشاطبي الوجه في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ بالذات.
- وأول الجنب في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ فقال: وهذا لا معنى للجنب فيه لا حقيقة ولا مجازاً، لأن العرب تقول: هذا الأمر يصغر في جنب هذا، أي يصغر بالإضافة إلى الآخر، فكذلك الآية معناها ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي فيما بيني وبين الله، إذا أضفت تفريطي إلى أمره ونهيه إياي، ثم قال: فقد ظهر بهذه الأمثلة، كيف يقع الخطأ في العربية في كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والمصحابة

<sup>1</sup> فتح الباري 1، 174

<sup>2</sup> التكملة 151

<sup>3</sup> دقائق الإشارات 345

<sup>4</sup> دفع شبه من نمرود 13

<sup>5</sup> البراهين المسلطة 272

-رضي الله عنهم- براء من ذلك، لأنهم عرب، لم يحتاجوا في فهم كلام الله تعالى إلى أدوات ولا تعلم<sup>1</sup>.

- ونقل النووي في شرحه على صحيح مسلم عن القاضي عياض أنه لا خلاف بين المسلمين قاطبة؛ ففيهم، ومحدثهم، ومتكلمهم، ونظارهم، ومقلداهم أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء، كقوله تعالى: «أأمنتم من في السماء» ونحوه، ليس على ظاهرها، بل متأولة عند جميعهم<sup>2</sup>، أي جميع من يعتد بهم.



<sup>1</sup> الاعتصام 303,2

<sup>2</sup> 24,5

## موقف الأئمة المالكية

نسب ابن تيمية إلى أئمة المالكية القول بالاستواء الحقيقي، أي الجلوس والاستقرار.

جاء في فتاويه: وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور، حتى علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه، وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف، ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا<sup>1</sup>.

### التقويم

كلام ابن تيمية ينقسم إلى قسمين :

1. حكاية الإجماع على الحمل الحقيقي في آية «ثم استوى على العرش». وقد تقدم القول بعدم صحة هذا الإجماع، ويكفي في رده ما قاله الإمام الحافظ القاضي عياض من أئمة المالكية- من أن أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين على إحالة الجهة -أي القول بأن الله في جهة العلو على العرش من الأمور المستحيلة- وأن من صار إلى القول بالجهة هم دهاء الفقهاء والمتجسدين، وبعض متكلمي الأشاعرة، وكافة الكرامية<sup>2</sup>. من الفرق المنحرفة.
2. نسبة القول بالجهة إلى أئمة المالكية.

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى 182,5

<sup>2</sup> إكمال الإكمال على صحيح مسلم 241,2

وما نسبته إليهم غير صحيح، يقول الإمام الأبي - من أئمة المالكية - في شرحه على صحيح مسلم: ما نسب من القول بالجهة لا يصح، ولم يقع إلا لأبي عمر في الاستنكار والتمهيد، ولابن أبي زيد في الرسالة، وهو عنهما متأول<sup>1</sup>.

وأذكر حفاظ المذهب المالكي وأئمة - كابن عبد السلام، وابن هارون، والسطي، وابن الصباغ، وغيرهم ما افكره الأبي<sup>2</sup>.

يقول الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن جبريل الكلابي المتوفي سنة 733: ما حكاه ابن تيمية عن أبي عمر بن عبد البر، علم الخصاص والعام مذهب الرجل، ومخالفة الناس له، ونكير المالكية عليه أولاً وآخرأ مشهور، ومخالفته لإمام المغرب أبي الوليد اللباجي معروفة، حتى إن فضلاء المغرب يقولون: لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره وغير ابن أبي زيد، غير أن العلماء منهم قد اعتذر عن ابن أبي زيد بما هو موجود في كلام القاضي الأجل أبي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي<sup>3</sup>.

وقال الإمام الحافظ ابن العربي - من أئمة المالكية - قد تعدى إليه أي حدوث النزول\* قوم لمسوا من أهل العلم بالتفسير، فتعدوا عليه بالقول بالنكير، وقالوا في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات.

قلنا: هذا جهل عظيم، وإنما قال يُنزل إلى السماء\* ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل، ولا كيف ينزل.

قالوا: وحجتهم ظاهر قول الله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»

قلنا: وما العرش في العربية؟ وما الاستواء؟

قالوا: كما قال الله تعالى: «استووا على ظهوره»

قلنا: إن الله تعالى أن يمثل استولاه على عرشه بمستوائنا على ظهور الركائب.

<sup>1</sup> المرجع السابق والجزء والسفحة

<sup>2</sup> المرجع السابق نفس المكان

<sup>3</sup> التوفيق الربيعي 192



قال: والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش، فلم يتعين بها، ولا حدث له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فإنه لا يحول ولا يزول، قدوس لا يتغير ولا يستحيل<sup>1</sup>.

- وقال ابن رشد في كتابه -فصل المقال- ص13: إن هاهنا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله، وحملهم إياه على ظاهره كفر في حقهم، وتأويل غير أهل البرهان له، وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم، ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول .

- وقال الإمام القرطبي في تفسيره: ووصفه بالعلو والعظمة، لا بالأماكن والجهات والحدود، لأنها صفات الأجسام، وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى السماء، لأن السماء مهبط الوحي، ومنزل القطر، ومحل القدس... كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها، وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان<sup>2</sup>.

- وجاء في كتاب المنهاج القويم لابن حجر الهيتمي ص244: واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة -رضي الله عنهم- القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم<sup>3</sup>.

- قال ابن ناجي - من علماء المالكية -: ثبت علم السلف الصالح باستحالة الجهة، والقول بالفوقية الحسية<sup>4</sup>.  
وبمثل قوله قال الشيخ زروق<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> المعارضة 232,2

<sup>2</sup> تفسير القرطبي 216,18

<sup>3</sup> الوهابية في المراء ص9

<sup>4</sup> ابن ناجي على الرسالة 28,1

<sup>5</sup> زروق على الرسالة 28,1-29

- يقول الشيخ الدردير - من حفاظ المذهب المالكي -: وأجاب أئمتنا سلفهم بأن الله تعالى منزّه عن صفات الحوائث، مع تفويض معاني هذه التصوص إليه تعالى، إيثراً للطريق الأسلم «وما يعلم تأويله إلا الله» وخلفهم بتعيين محامل صحيحة ليطالوا لمذهب الضالين، وإرشاداً للقاصرين، فحملوا اليد على القدرة، والوجه على الذات، والاستواء على الاستيلاء، وهكذا...
- قال: والحاصل أنه لا بد من تأويل، أي حمل اللفظ على غير ظاهره.<sup>1</sup>
- وقال الجزولي - من أئمة المالكية - في حزبه التوحيد: لا يختص بالمكان، سبحانه عظيم. الاختصاص بالمكان من صفات المخلوقات.<sup>2</sup>
- ورد الإمام مالك على القائلين بالجهة مبسوط في العواصم عن القواصم لابن العربي.<sup>3</sup>
- وصرح العلم العراقي أن الإمام مالكا يقول: إن معتقد الجهة كافر.<sup>4</sup>
- إلى غير هذا من النقولات الكثيرة التي تنفي ما يريد أن ينسبه ابن تيمية إلى المذهب المالكي.

### ملاحظات:

1. في كلام أئمة المالكية المنتقدين للقول بالجهة التغافل عن الظلمنكي، لأنه تكلم في غير تخصصه كما سبق بيانه - فقله وعدمه سواء.
2. قول ابن أبي زيد القيرواني "ولأنه فوق عرشه المجيد بذاته" لا يتعين حمله على الفوقية الحسية إلا بعد التصريح منه بأن المقصود بالفوقية الفوقية الحسية. لما سبق من القول أن السلف يفسرون الملو والفوقية بملو المعنى، الذي يعبر عن كمال القدرة والتملك لكل الأشياء، كما صرح بذلك ابن جرير الطبري وغيره،

<sup>1</sup> شرح الخريدة مع حاشية الصاوي 68-69

<sup>2</sup> حزب التوحيد مع الوظائف الثلاث 36 مكتبة الشجاع

<sup>3</sup> مقالات الكوثري 291

<sup>4</sup> تكملة السيف 116

فيصير معنى الجملة عند ابن أبي زيد أن استيلاء الله على العرش وتملكه له كان بذاته ونفسه، ولم يكن عن طريق ملك عظيم أو روح كبير. هذا كله إذا سلمنا بصحة ثبوت العبارة عن الإمام، وإلا فإن الفاكهاني يقول: سمعت شيوخنا أبا علي البجائي يقول: إن هذه العبارة نسبت على المؤلف -رضي الله عنه-<sup>1</sup>.

3. قال الشيخ حسن علي السقا في كتابه "إلغام الحجر على المتطاول على الأشاعرة من البشر": الحشوية المجسدة أتباع ابن تيمية متى خالف كلام الأئمة الكبار كلامهم واعتقادهم، وأرادوا أن يحتجوا بقول ذلك الإمام ليقتنعوا من حولهم... حرفوا وتلاعبوا بكلام ذلك الإمام... وقد فعلوا في هذه الفترة الأخيرة أشياء وتحريفات... منها أنهم قاموا بطباعة كتاب "الأنكار" للإمام النووي، بإشراف إدارة هيئة البحوث والدعوة والإرشاد، بتحقيق عبدالقادر أرناؤوط، ونشر دار الهدى للرياض، وحرفوا قول الإمام النووي "فصل في زيارة قبر رسول الله" فجعلوه "فصل في زيارة مسجد رسول الله" وحذفوا بعده كلاما يقع في ثلاثة أسطر، يخالف مشربهم... وحذفوا أيضا من آخر ذلك الفصل قصة العتبي التي ذكرها الإمام النووي، واستحبها أئمة الشافعية، كما قال الإمام النووي في المجموع "274,8" وقد رجعت إلى عدة نسخ مطبوعة، وإلى المخطوط، وإلى شرح العلامة ابن علان على الأنكار، لأتحقق من ذلك التلاعب، الذي لم يشر إليه المحقق والطابعون، لا في المقدمة ولا في موضع الحذف وليست هذه الأفعال إلا تحريف وتلاعب بكلام الأئمة، وزرع بذور الشك بما في أيدي الناس من كتب علماء الإسلام والأئمة وكتب الثرات.

قل:

ومن تحريفاتهم أن حذفوا قطعة تامة من كلام الإمام أبي الحسن الأشعري، حين طبعوا كتابه "الآبانة" ينفي فيها أن الله استوى على العرش بذاته. وهذه القطعة هي:

<sup>1</sup> ابن ناجي على الرسالة 28,1

"وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده، استواء منزها عن الملمسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال. لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محفوفون بلطف قدرته، ومقهورون فى قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد<sup>1</sup>

وهذا -كما قال الشيخ السقا- كلام محقق على أربع نسخ خطيرة بتحقيق الدكتور فوقية دار الأنصار ص21، وهو محذوف من نسخ الإبانة المطبوعة فى الأسواق.

4. اتباع المذهب الظاهرى يتسقطون هفوت الأعلام، فيستقلون بقول الإمام القرطبي فى كتابه "الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى" بأن القرآن نطق بإثبات الجهة<sup>2</sup>، ويفسون قوله فى التفسير إن الله ليس له مكان<sup>3</sup>، وقوله فى الأذكار حين التعرض لقوله تعالى: (أمنت من فى السماء) وقوله عليه السلام للجارية ((أين الله؟)) قالت: فى السماء؛ وما كان مثله ليس على ظاهره، بل هو مؤول تأويلات صحيحة، قد أبداها كثير من أهل العلم فى كتبهم<sup>4</sup>.

وقوله أيضا فى الأذكار: متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك فى القرآن وإضلال العوام، كما فعلته الزنادقة والفرامطة والطاعنون فى القرآن، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما فى الكتاب والسنة، مما يوهم ظاهره الجسمية، حتى اعتقدوا أن البارى جسم مجسم، وصورة مصورة، وذات وجه، وغير ذلك من يد وعين وجنب وأصبع -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- "وهذا ما يراه ابن تيمية وأتباعه"

<sup>1</sup> إقام للمجر 17-19

<sup>2</sup> انظر هامش للأذكار فى أفضل الأذكار ص25 دراسة فواز أحمد زمرلى

<sup>3</sup> 216, 18

<sup>4</sup> الأذكار 24-25

قال القرطبي: أو يتبعوه على جهة إيداء تأويلها أو إيضاح معانيها، كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر فيه من السؤال-  
فهذه أربعة أقسام:

الأول - أي المشككون - لا شك في كفرهم، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة.

الثاني - الذين يعتقدون الظاهر - الصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ويستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا، كما يفعل بمن ارتد<sup>1</sup>...

- وقوله في الإنكار: ولما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة، فمباح في كلام العرب، فيتأول ويعلم تأويله المستقيم، ويزال ما فيه عما عسى أن يتعلق بتأويل غير مستقيم<sup>2</sup>.

وله أقوال أخرى متعددة في تفسيره تؤكد هذا وتدلل عليه، أفيترك غالب أقواله ويترك الاستدلال بها، ويؤتى لنص واحد ليس هناك ما يدل عليه شرعا ولا ما يعلم أنه له أو منسوس عليه، لتناقضه الواضح مع أقواله الأخرى الكثيرة المتعددة الموجودة في أكثر من كتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في كل وقت وحين.

وكان آخر التمام عند أذان العصر يوم الثلاثاء 2001/9/4 في بلاد تاجوراء التي هي إحدى ضواحي طرابلس الغرب.

بسم الله

<sup>1</sup> الإنكار 282

<sup>2</sup> المرجع السابق 286

فمنهم من سبوا المؤمنين

الصفحة	الموضوع
1	مقدمة .....
4	تمهيد .....
4	مذاهب العلماء في الآيات المتشابهة .....
8	التأويل الإجمالي لمذهب ابن تيمية .....
14	اعتراضات ابن القيم والاجابة عنها .....
24	النقد التفصيلي .....
25	مبحث الصوت .....
25	عقيدة ابن تيمية .....
	نقدنا من حيث التحليل
27	النقد الأول .....
29	النقد الثاني .....
30	النقد الثالث .....
33	النقد الرابع .....
35	النقد الخامس .....
36	النقد السادس .....
37	النقد السابع .....
42	النقد الثامن .....
	نقدنا من حيث النص
43	النص الأول «وناديناه من جانب ...» .....
45	النص الثاني ((..فينادي بصوت..)) .....
46	النص الثالث (حديث العسللة) .....
47	النص الرابع ((يختر الله العباد فيناديهم بصوت)) .....
49	قاعدة التأويل لضمائر الجمع .....
50	أمثلة القاعدة .....
52	تطبيق القاعدة على الموضوع .....

54	شبهة الإسناد في حديث ((أنا الديان، أنا الملك)).....
55	طريقة التعبير الديني عادة الاستعمال حين تسند الفعل إلى الله.....
60	حديث ((إن ربي عز وجل أتقنى الليلة)).....
61	حديث ((إن الله خلق آدم على صورته)).....
63	حديث ((إن الله لم يمس شيئا إلا ثلاثة)).....
63	آية «يوم نطوي السماء».....
64	حديث ((يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى...)).....
64	حديث ((إن الله يحمل السماوات يوم القيامة على أصبع)).....
65	آية «والله محيط بالكافرين».....
66	آية «وجاء ربك».....
66	حديث ((يتمثل الله عز وجل ذكره...)).....
68	حديث ((يكشفن ساقه...)).....
69	اعتراض ابن حجر والجواب عنه.....
72	فتاوى الأئمة في الصوت والحرف.....
	مبحث الاستواء
77	عقيدة ابن تيمية.....
	التقويم لتحليل النصوص
78	آية الاستواء.....
81	تأويل السلف لها.....
83	المقصود بالعلو.....
85	مقارنة بين تحليل ابن تيمية وتحليل الأشاعرة.....
89	عقيدة السلف في عدم المكان لله.....
92	آية «ألمنتم من السماء».....
95	حديث ((ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)).....
96	حديث ((أين الله)).....
100	أدلة العروج والرفع.....
100	نقد التحليل.....
103	حديث المعراج.....

103	نقد التحليل .....
106	حديث ((لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله ... من فوق سبع سموات)) .....
107	قول عمر ((هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات)) .....
108	حديث ((أين كان ربنا)) .....
110	حديث ((ربنا الذي في السماء)) .....
111	حديث ((كم تعبد اليوم من إله...)) .....
111	قول ابن المبارك في السماء السابعة على عرشه .....
113	أصناف العلماء الذين ينقل عنهم ابن تيمية .....
113	كذابون .....
114	قائلون بالتجسيم .....
114	قائلون بالتشبيه .....
114	غير متخصصين .....
115	علماء ينكرون المجاز .....
117	علماء لا يعتد بروايتهم .....
118	علماء مكنوب عليهم .....
120	علماء لا تدل عباراتهم صراحة .....
120	علماء لم يحققوا المسألة .....
121	تأويل السلف للنصوص .....
126	نسبة الاستواء إلى الملكية .....
126	نقد هذه النسبة .....
133	فهرست المواضيع .....

سُبْحَانَ اللَّهِ  
وَبِحَمْدِهِ



